MOUHAMAD RASHO

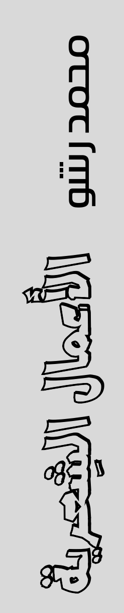
محمد رشو



كتب رقمية

محمد رشو





الكتاب: الأعمال الشعرية

المؤلف: محمد رشو



دار أبابيل / كتب رقمية

00905389886909

00963959327435

E-mail: imadmusa1@gmail.com

www.ebabil.net

www.facebook.com/AbabeelBook

لوحة الغلاف: نهاد الترك

تصميم الغلاف والتنضيد: عماد الدين موسى

الفهرس

١- أنتظر الهواء لأمرّ بكِ........................ ١٨

لذلك الثلاثاء القريب، لتلك الغرفة................................ ٢١

الكرسي.. ٢٣

المزهرية.. ٢٥

هو الضوء.. ٢٦

الأزرق... ٢٧

المكان ضيّق علينا... ٢٨

(....).. ٣٠

نجمتك.. ٣١

صيف العائلة.. ٣٣

قد يكتفي أحدهم بشجرة، ويتزوجها............................ ٣٤

أحرسكِ منكِ.. ٣٥

عازفو الجاز... ٣٧

يا ضيفي... ٣٨

البناؤون... ٣٩

كوى.. ٤٠

ركود.. ٤١

قدماء.. ٤٢

داما.. ٤٣

كلوحةٍ من القرن التاسع عشر........................ ٤٤

جبل السيدة.. ٤٦

الصورة.. ٤٧

مدائح.. ٤٨

بين السماق الكثيف.. ٤٩

مطمئناً في المقعد الخلفي.. ٥٠

غصنٌ ينهض في المرآة.. ٥١

بلّور.. ٥٣

ماذا أقولُ عن اليد الصديقة.. ٥٥

٢- عين رطبة.. ٦٥

سافر تشفَ.. ٦٧

تلفاز يترك مشغولاً.. ٧٠

النقطة العمياء حيثُ ينظر رجلٌ وحيد.. ٧٢

الماجن.. ٧٦

بلّورات هنا.. ٧٨

فونوغرافٌ قديمٌ للعائلة.. ٨٠

الورثة الرومانسيون لقمر قديم.. ٨٣

عينٌ لا تهتز.. ٨٥

"لِيلِي" لا تتأخري.. ٨٧

سنكون على ما يرام.. ٨٩

كن كهفاً.. ٩١

حالما تغادر إلى نومك... ٩٣

المُوْرث.. ٩٥

زوربا صغيراً.. ٩٧

ترى من تحت قبعة... ٩٩

أعدائي.. ١٠١

هواءٌ لأجراسنا.. ١٠٣

ضوءٌ يغرق في ليل بحيرة.. ١٠٥

المسافر ١٠٨

أشواق تؤلم باطن اليد.. ١١٠

المرضى... ١١٢

نحن أبناء الظل... ١١٤

أناقة.. ١١٦

أصوات.. ١١٧

سروةٌ تهتز في مستوى نافذة.................................... ١١٩

روزا يجب أن ترى البحر....................................... ١٢١

نَفْسها.. ١٢٣

عزلتان.. ١٢٥

جاز ١٢٧

فوتوغراف.. ١٢٩

ضباب... ١٣١

الأشباح وهم يمرّون بجانب السيدة الإنكليزية........................ ١٣٣

عين الطير... ١٣٧

ما لم يحدث أبداً.. ١٣٩

صريرٌ في الفراغ... ١٤٢

رُهاب.. ١٤٥

بورنو.. ١٤٧

الروح مثلاً... ١٤٩

الذي... ١٥١

أيها السيّد.. ١٥٣

وقد مرَّت القطارات في ليلة كثيرة............................. ١٥٤

الكنزة.. ١٥٥

الليلة أيضاً... ١٥٦

بطء.. ١٥٧

سريرِكِ الذهب.. ١٥٨

حدسكِ... ١٦٠

أنيريني... ١٦٣

غيبوبة الأربعاء.. ١٦٤

٣- جمالٌ بارد.. ١٦٧

أحياناً.. ١٦٩

OBJECTS IN MIRROR ١٧٠
النائمُ في الجوار ١٧٣
تخدير موضعي.. ١٧٤
جريمة في صالة البلياردو ١٧٦
كَحادثِ سير ١٧٨
زهايمر ١٨٠
جمالٌ بارد.. ١٨٢
على غفلة.. ١٨٤
Big ass.. ١٨٦
هذه الموسيقى مرة أخرى.. ١٨٧
روايةٌ جيدة، هي الحياة، لكنها تُقرأ بشكل سيء........................ ١٨٩
تعالي كثيراً، اذهبي قليلاً.. ١٩٠
الزوق الرفيع للسيدة "م".. ١٩٢
المرآة في يد أجاثا كريستي.. ١٩٥
عينا الشيطان.. ١٩٩
إسمي بول أوستر ٢٠١

ديرْ وجَّك.. ٢٠٤

أهالي أربيل.. ٢٠٧

جمالٌ نائم في الجوار.. ٢٠٩

مقص.. ٢١١

أسنان بيضاء.. ٢١٢

الحي بالمصادفة.. ٢١٣

ساعة الذئب.. ٢١٥

سكاكر.. ٢١٧

ما أن تلمسهُ.. ٢١٨

حبة قمح.. ٢٢٠

بحيرات.. ٢٢٢

قناع الأب... ٢٢٣

أفاعي سوداء في إكواريوم.. ٢٢٥

جميلة نائمة... ٢٢٨

وأنتِ تضحكين.. ٢٣١

يا خليل يا فتى.. ٢٣٣

حليبٌ بارد... ٢٣٦

الآنسة كيت.. ٢٣٩

الندم في الصباح..................................... ٢٤٢

بنك في أربيل....................................... ٢٤٥

جميلة في البروشورات................................ ٢٤٨

رأس طافٍ... ٢٥١

فليكن إسمها: فيرونيكا.............................. ٢٤٥

الحروب... ٢٥٦

سنأتي أيها الموت.................................... ٢٥٩

عزف الكمان في ألمانيا.............................. ٢٦٢

طواويس تطير.. ٢٦٥

أقرب إلى يدي....................................... ٢٦٨

أفعى في بطن إمرأة.................................. ٢٧١

أراقب ولا أكمل...................................... ٢٧٣

٤- ملاك يبتسم بخبث............................ ٢٧٥

حجر السكينة.. ٢٨٤

البحر يسكن هنا... ٢٩٠

هوليا.. ٢٩٣

يكفي يا كلب.. ٢٩٧

ملاك يبتسم بخبث... ٢٩٩

فوتوشوب.. ٣٠٢

بيمال... ٣٠٤

ليست يدي... ٣٠٧

عينا النمر... ٣١٠

أنا أيضاً ضيف.. ٣١٢

الطير تحت الإبط.. ٣١٦

تحرّك الثعلب في الطريق.................................... ٣٢٠

I am old man.. ٣٢٢

كوليطس... ٣٢٥

مريشك.. ٣٢٨

كاليميرو... ٣٣٠

إصبعي الوسطى.. ٣٣٢

ليزا.. ٣٣٤

فرابيه.. ٣٣٦

Gallo pinto... ٣٣٨

بروفة... ٣٤٠

fuck.. ٣٤٢

توينتي يورو... ٣٤٤

العدو هنا.. ٣٤٦

غصن الفقد.. ٣٤٨

إن كنت صديقي حقاً.. ٣٥٢

رجلٌ أسود يحدّق في رجلٍ أبيض............................ ٣٥٤

سوليداد... ٣٥٦

والريحُ بريّة... ٣٥٨

اعرفوا جيداً... ٣٦٠

كبوت.. ٣٦٢

ذات الشعر الذهبي.. ٣٦٤

٥- تحت جفن الميّت نظرة................................ ٣٦٧

سِدرةُ المنتهى.. ٣٦٩

تحدّث.. ٣٧٠

موكبٌ لا أحد فيه.. ٣٧١

تَلِفَتْ يدي ولمْ يزلْ أثرُ يدكِ.................................. ٣٧٢

عضضتُ شفتي على الأغنية التي رقصتِ عليها ذات يوم.......... ٣٧٣

عيني أثرُ عينكِ على وجهي.................................. ٣٧٤

طائرٌ ميّت... ٣٧٥

لون الندم... ٣٧٦

آكلُ قلبكِ... ٣٧٧

سكين... ٣٧٨

نجاة.. ٣٧٩

شجرة... ٣٨٠

لكن.. ٣٨١

البرنس... ٣٨٣

فخاخ... ٣٨٤

من نحن؟... ٣٨٥

غزل البنات.. ٣٨٧

سنجاب.. ٣٨٩

طائرٌ أعمى.. ٣٩٢

حجرُ الزاوية... ٣٩٤

شرير يفكّر وحيداً.. ٣٩٥

حكّة.. ٣٩٨

ديكٌ رومي.. ٤٠١

كيف عشت.. ٤٠٤

المؤخرة السوداء.. ٤٠٦

حبكة.. ٤٠٩

شيبس مع ريدبول.. ٤١٠

كاميرا خفيّة... ٤١١

صبا.. ٤١٥

سجنٌ هي الدانمارك... ٤١٨

أرى قدمي أراقَ دمي.. ٤٢٠

كان ثمّة الذكريات... ٤٢٣

هل أنت سعيد؟.. ٤٢٩

لونُ الأربعاء.. ٤٣٢

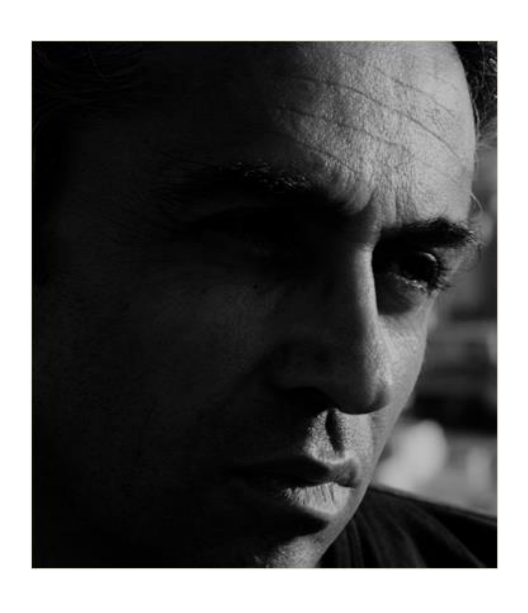
كيف ينتهي اسمُ حبيبي.. ٤٣٥

هل لديك فايبر؟.. ٤٣٩

بابا ماذا تفعل.. ٤٤١

خيوط زرقاء.. ٤٤٣

لا أعرف.. ٤٤٥



محمد رشو

شاعر كردي سوري مقيم في هولندا، من مواليد حلب ١٩٧٣.

له:

١- أنتظر الهواء لأمر بكِ (شِعر) ٢٠٠١

٢- عين رطبة (شِعر) ٢٠٠٥

٣- جمال بارد (شِعر) ٢٠١٣

٤- ملاك يبتسم بخبث (شِعر) ٢٠١٤

٥- الجوكر (قصص قصيرة) ٢٠١٥

٦- تحت جفن الميت نظرة (شِعر) ٢٠١٦

1

أنتظر الهواء لأمرَّ بكِ

٢٠٠١

إلى سلطانة دائماً

أنا الهواءُ

ما دمتِ شجرتي

فكيف أهدأ؟

لذلك الثلاثاء القريب
لتلك الغرفة

اليد لكِ

والفم صار لك أيضاً.

....

....

منذ تلك الغرفة الزنخة بفرشها، برطوبتها النشادرية

كان لا بد أن أتخلى عن حياديتي تجاه النهار

كان لا بد أن تعتذر الأصابع عما لم تفعله الأصابع،

(أن أعتذر ليديك النبيلتين عن كل ما حدث بيننا و عما لم يحدث)

منذ ذاك الثلاثاء

القريب من مقبرة الأرمن البروتستانت

كان لا بدّ أن تقومي، أن تصعدي، أن تحلّقي

و كان لا بد أن استحم بكِ

أنام فيك كنهرٍ عريض

أذوب فيكِ كراهب مؤمن بالصليب تملّكه الندم

يخاطبك و كأنكِ زيتونته الوحيدة في هذا العالم:

قليلاً من كتفكِ الأخضر لأبكي عليه

قليلاً من تنفسكِ لأشبع رئتي

قليلاً من ريقكِ

كيلا تجف أزهار الشفتين

كيلا تموت طيور الفم العطشى

العطشى

منذ

صيف

سابق

سابق

الكرسي

ما يريك الكرسي الدوار، إذن:

اللزوجة في الصباح وما فيها

نعاسٌ كالصمغ

آثار رديئة لنزهة الأمس

أشخاص يهبطون، يصعدون

وأيضاً

مسقط أفقي للمدينة في شرفاتها الجافة

ما يريك إياه السهو في انحناءة الرأس

حشرة ولو عابرة

نبتة المكحلة

القميص الأبيض ارتدته

لتبدو كأنها شجرة من الماء

هكذا أحياناً

نسكن لنرى ما لا يحدث..

فماذا أفعل؟

...

النوم جديرٌ بك

والهواء الآن

لا يليق بما تبقى من فضة الليل

وبالنسغ يجري في مرآة الزينة حيث انعكاسُ وجهك

النائم لا أكثر.

المزهرية

مزهرية الكريستال الممتلئة بالزيزفون

دونما ارتياب

تبدو امرأة

مزهرية الكريستال الممتلئة بالزيزفون

امرأة

وأعرفها

والآن

لماذا حين ألمسكِ

تشعُّ في شعركِ أزهار صفراء

وتصبح لك رائحة الزيزفون

فتبدين كما لو أنك مزهرية من الكريستال

وممتلئة بالزيزفون

هو الضوء

هو الضوء

كفرخ

يخفق في قبلتك الخفيفة على الباب

هو الضوء

كثمرة

من صوتك البرتقالي

يسترد رشاقته بين أغصان عالية للأنغيدنيا

يزيل الغبش الكائن في حديث العائلة

وبغزارة على الطاولة

على جزءٍ حيث روزا في صورتها الفوتوغرافية

ينسكب بيننا

طرياً كقبر

جميلاً كقبر

غامضاً كقبر

هو الضوء

الأزرق

الأزرق :حقول شرقية جنوبية تثمر الحنطة والحمام وخوار البقرات الثلاث للعجوز دادو،

آباء كسولون، عتمة كسماء من الجن، إسطبلات باردة خلف البيوت، مراهقون مبتلون برائحة نطافهم، وأصابع ستصبح أصابعهم متجمدة في الطمي تنكش عن مسامير صدئة يجلبها الله بعد مطر الامس.

ومن أنت؟

أنا الأزرق الذي تتنفسه النساء في حجرات الشتاء.

ومحمد رشو.. ؟

إنه رجل آخر لا يشبهني، بل يشبه واحدة منهن

إنه ليس سوى ظلٍّ دبق لنبتة الخباز

ينمو كئيباً

في نعاس الظهيرة.

المكان ضيّقٌ علينا

"المكان ضيقٌ علينا

والواحد منا وحده يتسع للآخر"

يهمس الغريبان:

الذاكرة نحن كما نريد أن نكون

أما الرغبة فهي نحن الآن

الذاكرة لي

والرغبة لكِ

وما نستطيع أن نأخذه:

أن نلمس الأشجار ونحن نعبر المغيب

أن نمشي دقائق معدودة في محاذاة السريان القديمة

أن نقول :أشتقت إليك، ليزهر قمرٌ آخر في سماء الآخر

ليبقى الأزرق كما ترغبين، سيدَ نفسه

ليبقى ما يخصكِ يخصني، وما لا يخصك يخصني

وليبقى الغريبان يهمسان لبعضهما البعض

"المكان ضيقٌ علينا

والواحد منا وحده يتسعُ للآخر"

....

النعاس يتدلى من نافذة الصباح

الضوء منكسر على نفسه، يلمس طرف الوسادة

من غيركِ، إذن

توقظ قلبي بدقات قلبها؟

"للبحر وحده سنقول كم كنا غرباء في أعياد المدينة"
سان جون بيرس

نجمتك

(إلى حسن نابو)

حيث تستحم أزهارك العالية

بالضوء

جوار الدرج

تظل أنت إذن تراقب نجمتك.

تُلهينا عنك

بآلهة اليزيديين تُسمّى بأشيائها الخاصة

بقليل من مربى المشمش

باللواتي غيابهن الدافئ يدلّ علينا

ثم

توهمنا أنك نائم أو نصف نائم

فنغادر مطمئنين

بينما أنت لا تلبث أن تتقمصك روح الرعاة

تفلُّ من سريرك

تلقي على كتفيك رداء من الليل الأخضر

ووحيداً

تتبع نجمتك

صيف العائلة

هادئون كأنهم ذاهبون على الموت

الأمهات يحفظن في أصابعهن البللورية

حصصنا من الكرز

والآباء بأسمالهم

ينغلقون على الذكرى

حيث الرعاة

وإذ يستيقظون فجراً

يغطون برد أطرافنا المنكشفة

بصهيل أسمائهم بين أشجار البطم

قد يكتفي أحدهم بشجرة، ويتزوجها

(إلى حامد بدرخان)

أنتَ ألمُ المكاشفة

عزلتكَ كوجهك

غابةٌ من الزيتون

هكذا، إذن،

نحتشد بضيوفك

تدلهم على الشمس

وبعيداً تنظر من عليائك كصقرٍ آسيوي

إلى أسمائنا تنبت في العشب

رقيقاً كالموت

تتلمس الأرض بشهية مفتوحة

ناصعاً

كالحجل

تقود الهواء إلى أشجار التين

وتنام

أحرسكِ منكِ

يكتئب الصباح لأنه شاغر منكِ

والشرفة أيضاً

أكون شجرة الكينا

أمد ظلي الحزين حتى بابك

وأمتهن الحفيف في أدنى الريح

أكون المطر الثقيل

أعج بالكراهية

وغزيراً من الحرير

ألثم أرض شرفتكِ

للماء غوايته

لئلا يخطفك مني

أذوب معه

عازفو الجاز

الآن، وعازفو الجاز

ينحنون على إرتجال الروح وجنون الأصابع

ليس لي في هذه المدينة الهرمة

سوى إسمكِ

تركتيه شجرة المزار المقدسة

لأربط بشغف القرويين على ميمها شرائط العيد

وليحط الحمام

على أغصانها الخصبة

ناشراً بريد الحنين

يا ضيفي

لغبارهم تحت صف الكراسي، في أرض الممر

لغبارهم وحشة الإلتفات فجأة من بعد المؤانسة

فوضويون هم، مكتئبون

قلة من الضيوف أولئك الذين يملكون الرشاقة

في الإيماء مثلك

رقة الماء في أكفهم

سريرِكِ المائل في أعينهم

أيها العائد إلى قلبي

أيها الغريب

يا ضيفي

لا تغمض عينيك العزيزتين

أو أفعل ذلك بهدوء

لأنها تقيم في الداخل

البناؤون

البناؤون

يعلمون تماماً

أن أصغر نافذة يحفرونها في الجدار

تكفي عائلة

لترى القمر كاملاً

كوى

كوة في الجسد نسميها القلب

كوة في العمر نسميها :

المرأة التي تولد في حيرة الحواس

كوة في السماء

لعلها النجمة الوحيدة التي تقطع الغابات

لتبقى تضيء عينيك الذابلتين

ركود

شجرة الصفصاف لظهيرتها الطويلة

كانت تدع انحناءها يغرق في ذات المستنقع،

المستنقع حيث الطحالب والذباب

والشراغيف المتلهفة للعشب،

العشب حيث كان الصبي يترك خرافه ليصفر

وهو يتبول على صورته تطفو على الماء الآسن.

الليلة

الهواء أيضاً

راكد تماماً

لا تُحْتَمَلُ أشجاره الميتة،

راكدٌ هو الهواء

لا طير

لا بعوضة تئز

لا صبي يترك خرافه ليصفر.....

قدماء

ظهورهم إلى الطريق الموحلة

قدماء كأنهم الغناء

قدماء كأنهم الفرح

أبعد من العشاء قليلاً

يقف أمام دكان الأشرطة

شبان جدد

بقمصان مفتوحة حتى الصدر

بهالات من الضوء

شبان في العشرين

ظهورهم إلى الطريق الموحلة.

داما

أنت

لا

تخسر

لكنها

أحجارك.

كلوحةٍ من القرن التاسع عشر

سمكةٌ تصعد من الماء

تلتمع

وثم نحو الماء.

لحية شيخ

وعينا مراهق

أعلى التفاف العنق نحو البرونز الأملس

حيث ساتان منزلق

وامرأة تسرق الملح والزبد تحت إبطها الأيمن

وتفرّ خارجاً

سمكة تصعد من الماء

تلتمع

وثم......

ربما لا أكثر من نزوة لا تلبث ان تزول

ولا أكثر من صمت ناءٍ عن البحر وعميق كالبحر

تصوغه أصابع غامضة على مفاتيح البيانو.

جبل السيدة

ساعات كاملة بينهم،

أصص الأزهار على طرفي الدرج

عازفون مبتدؤون

بائعون متجولون

والنظرة الثابتة لسيدة في الخمسين تبصر أبعد من الينابيع

جبل السيدة

المقابر الثلاث بأسوارها الرطبة، الحوانيت

الضيقة :الفاكهة، الأزياء، الأكسسوارت

والأشخاص الذين يعبرون

كائنات من الثلج والصبر والتراب

أولئك الأشخاص الذين يحاولون التنزه

بعد العصر

كلهم يشبهون الكتمان

الصورة

نادمٌ لأني كنت هارباً إلى خلفه

هل أنتم جاهزون؟

....

تلك الصورة العائلية

التي ألتقطها لنا زائر من المدينة:

أشجار التين الثلاث

أبي حاملاً إبريق الوضوء

أمي ترتب هدوء تنورتها

وأختي الصغرى، بشغبها،

تقطف تويجات أقحوانة برية

نبتت على كفها الأيسر

....

....

نادمٌ لأني أضعتها

نادمٌ لأني كنت هارباً إلى خلفه

مدائح

لكِ ما ليس للأخريات

عائداً لما في جدار وجهك

ألتف علي حتى ينهكني الحلم،

وللطيبة جداً

أكاد أنشد للنوم

كل ما يقول العاشق في مدائحه:

تلك الوردة

بإغفاءتها تنحني لكِ

خذيها بالألفة،

ذاك الطريق الواسع، المعشب، الآمن

يطول لتتأملي قامته

فإلبسي ما شئتِ من المطر

وإذهبي إليّ دونهم

حتى يبتلّ قميصي في معانقة قميصكِ

وتنجرف يدكِ في شدة ما أبكي

بين السماق الكثيف

بين السماق الكثيف

نشوةُ الزواحف لرطوبةٍ طويلة،

سرقاتُ القرباط وما يستجدونه

ريثما يعودون، ترابٌ أحمر مبرغل

لغائطٍ تركه العابرون

بين السماق الكثيف

زوجان يتعمدان الغروب المتأخر

يخبئان لغد المدينة عنَبهم، وشيئهما الطري

بين السماق الكثيف

سيمرُّ الرجل وحده

ليحمل العنب المقطوف في صناديق مبللة بالرذاذ

وليطمئِنَ ظلين متعانقين في سريرهما الرطب

(ناما، ما تزال الشمس نائمة أيضاً)

مطمئناً في المقعد الخلفي

هو السائق، دائماً للأمام

وللخلف (أيضاً من الأمام) في مرآته المفرطة اليقظة

كلصٍ محترف

هم المارة، والركاب في جوارك

يمرون في أفقكَ الخدر

لتلحظهم

(كأنك إلهٌ أنيق، وكأنهم أبناؤك على الأرض)

هكذا–

في المقعد الخلفي

لك أن تنام في هدأةٍ

أو حتى أن تموت في هدوئك اللذيذ

في المقعد الخلفي

ودون غيره

غصنٌ ينهض في المرآة

يكفي من اللذة

شارعٌ بشمسٍ رطبة

وظلٌّ رهيف على حديد الإفريز

لإمرأة

تندلق عليك كالماء.

الطويلُ بين شتاءين

حين تحول العتبة إلى ضوءٍ خالص

ويُرى أخضركِ مشعاً في الفضة

وتبقى لك سماؤك

لتقطف نجمةً مبللة بالعري

لتتندى في الممشى

يحاذيك ألقُ الأرمن

ممتدين في نزهات الأحد.

أكتنفُكِ في الصيف.

ما يكفي في هذا الصيف

غصنٌ ينهض

في

المرآة.

بلّور

أعرفكَ تحبُّ الزبيب، إذن،

:

أبسطْ داخلك للشمس كعنبٍ طريّ

أو

اجعل داخلك حظيرةً لتأوي إليها الشمس

حينما تتبعُ راعيها الوحيد

......

......

إذا عطشت فاشربني،

و إن كنت جائعاً فامضغ ظلك.

....

....

وتتباطأ

تتباطأ – يشّدك الظلُّ كحجرٍ إلى ال.....أسفلهِ –

تهبط في أقصى الخلاء

و ثم مائلاً على حائطٍ

لتنفرغ

مثانتك

ك

ب ح ي ر ة

....

....

لأجلها :لا تدع الكراهية تتحبس فيك.

لأجلك

:اعتن بزهورك التي لم تنبت بعد.

ماذا أقولُ عن اليد الصديقة

(إلى سلام أحمد)

إنه ظلك وقد جف بمفرده على عشب الخاصرة

إنه النحاس يندلق في شهوة السرو

إنه الهواء ينمو في الممر الذي هو لك

خريفٌ وحيدٌ يتسرب في قميصكَ الوحيد

فتشتعل

فأي بابٍ تفتحه يارجل

أيه تغلقه

أيها الأخضر المريضُ، المريضُ الأخضر

ما تعانقه في يأسك :سروةٌ لكنك تحسبها امرأة

من تأخذكَ بحجلٍ مختلف الى عينيها البستانيتين

حيث تسهو في النزهة،

تاركاً أصابعك على مخمل المعطف

تهتف بها يا امرأة:

سروة، محضُ سروة

ال ظلّ

أسفل منَّا

يسبقهم الصقيع في طريق القطار

في جسور مهيأة لترشقها بصراخٍ من حديد

وهم في الخارج

في المكان الذي ليس هو مكانهم

:يتنكرون في جسارة الظل، أكرادٌ،

يمرون على السماق،

يشمون النفل تحت آباط نسائهم،

ثم يقطفون الكرز،

وثم صباحهم البعيد ..... يدخنون

كنت، إذن، تفتح بابك، لا لشيء

لتغلقه

فقط

لتغلقه

بحاجبين كثيفين، بسرين مرتطمين بقاع بئره،

بأقل من الحجل، بأكثر من الشتاء

يتنزه قبل الوليمة:

الوليمة :كرزٌ يتخذ هيئة الحلمة

وثم موتٌ خالص كذهبٍ خالص

هم المهرة:

إذ يستأنسون في عزلة البلوط

بذئاب قادمة من الحلم

وبرعاة فاترين لا يتقنون هزّ الحنين

إذ يتهيأون

لغروبٍ تجتره شمس هزي...لة

في الممر الذي هو لك:

هواءٌ يشدُّ امرأةً الى رجلها، ورجلاً الى امرأته

أزهار مدعوكةٌ بين عشرين إصبعٍ مدعوكة،

تنفسٌ بطيء يهزُ الشجرة النحيلة من غرتها النحيلة

في الممر الذي هو لك:

يرتادُكَ الهواء في الظهيرات التالية طلعةَ السريان

فحجرتَها

حيث) الأحمر والأسود(

ووعولٌ تسبق أجراسها، وعول تتقادم

وثم وعلٌ ينفرد، يقرب وجهه من وجه امرأةٍ نائمة

وثم وكأنه يقضم عشباً

يقبّلها في فمها الطري

الطري.....

كمانغةٍ

بالغة

هم .... المهرة:

شتائيون

ليليون

تنام ظلالهم معهم:

تحلمُ إذ يحلمون

تتألم إذ يتألمون

لا تموت إذ يموتون ←

(والموتُ، قلْ هي امرأةٌ سروة، سروةٌ امرأة،

أخضرها دمي، طيشها قامتي، الظلها سريري)↓

← السرير/ أشنياتٌ تمضغها أسماك صدفية،

قوائم مصقولة من الملح

ملاءات من الزبد/ .

السرير.

البحر.

هم ..... المهرة:

جامعو نحاسٍ

الشتاء شتاؤهم،

يجرُّ حجله بين السرو، ويلحف سروه على الحجل

يكللهم الموت،

واطئو بغال في الردهات المفضية إلى الثلج،

حولهم الرطوبة الواسعة، الواسعة جداً

بين كراسٍ متوسطة

لكنبتين مغطاتين بالسجاد،

صمتهم فحم لذيذ

ما ينطقون به،

ما يصغون إليه:

اغتراف من الماء، في الماء، للماء.

هي ..... كلنا:

في الثلث الأوسط من شعركِ الطويل، نبعة.

انظري،

أصابعي مبللة لأني لامستك في الرقبة.

ياااااااااه،

ماءٌ باردٌ

2

عين رطبة

٢٠٠٥

الحياةُ التي تُوّمْتُ فيها استيقظتْ في نفسي.

ألبارودي كامبوس

سافرْ تُتنْفَ

(تشرين الثاني 1973)

مجندٌ سيصل قبل الإفطار في إجازةٍ قصيرة ليعلن:

إنها الحرب

(أيلول 1984)

كائنان فضيان أو مجرد أب وابنه الثاني ووراءهما

حديقةٌ طويلةٌ تكفي لأن تستعيد الأشياءُ فتنتَها

في صورةٍ فورية.

أما دائماً

فكانت العزلة.

داخلَ البيت داخلَ البيت والعزلةُ الصفراءُ

العزلة اللاطمأنينةُ اللامرئيةُ

العزلةُ من البرونز

سيدةُ الذين يسيرون نحو أشغالهم،

سيدةُ صيادي الحجل والقمري والأرانب، مزارعي العنب والزيتون، رعاةِ الماعز، القرباط الطارئين، الطبالين، مغني الحب والفروسية البائدة، المرضى المزمنين، الأرواح، المتزوجين باكراً، النساء البدينات، المقامرين في السرِّ،

العزلةُ بمفردها سيدةُ المكان

الذي يضمهم، ويكرههم،

هم الأكثر ضجراً من الملائكة.

دائماً

كانت العزلة.

كان الاكتشافُ المتأخر لضباب يحجبُ موتاً بريئاً بطيئاً قرب الحدود، كان لامرأة مؤمنة أن تمطِّر غيمة صيفية، غير موجودة، بدعائها الأعجمي، ويمكن لنقشبنديٍّ أن يطير من نعشه فتهتز له الأكتاف العالية، وتلحق به الرايات والأعين الضئيلة لمريدين عبثاً يشدونها إلى قاماتهم.

الضيوفُ وحدهم

يخففون من وطأة ما يكون،

وبكل بساطة كنتُ أفرحُ حين أمرض:

غداً سيخافون من الحمى، غداً ترتبك العائلة، غداً يأخذني أبي إلى المدينة، ولذلك ما أزال أظن أن السفر يشفي.

هل أنت مريض؟

سافرْ إذن.

تلفاز يترك مشغولاً

هذا الليل فقط.

ولا شيء منه

لاشيء سوى التلفاز

وكرسيٍّ يغادره الرجل نحو أباجور في الطابق الثالث

الحرُّ متاح بوفرة / اليدُ التوأم / فمٌ هاجس كذاكرة / أولاد يلهون باللذة تحت جسرٍ صغير / مبيِّضون يضيئون عزلة عامين لاحقين / جوالون عميان يُتندر بهم / مبيِّضون بأعماق مصقولة / يذيبون الملح و الكلس في أوانٍ يصقلونها تحت السروة / السروة كثيفة ليلاً / وبنفسجية / السروة كثيفةٌ دائماً / كي تلائم ما لا يعلنه ولدٌ يختبأ في الأعلى / يلتقط ما يلتقط من رائحة النساء / وهنَّ يحلبن الغنم أسفله.

عنفٌ في الداخل

ولا أكثر من هذا الليل:

ما من أحدٍ ينام ولا ينام،

ما من أحدٍ يتأمل الباحةَ من أباجور في الطابق الثالث

لا،

لاشيء سوى الكرسيّ

وتلفازٍ يترك مشغولاً

النقطة العمياء حيث ينظر رجلٌ وحيد

ماءٌ و قصديرٌ يعكسان الشمس.

بريقٌ

لكنه بعيد.

مواجهاً الدرفة المفتوحة في استلقائه

ينزلقُ إلى الخلف

ويحسب الحائطَ الذي يدفعه

قد انزاح قليلاً

الكراهيةُ

وحسب

يحلم بوقوع عتمة أشدّ فربما

يذوب ظلّه الوفي، وفياً في جسمه،

فيرى امرأةً مضيئةً، ذاتها،

المرأةُ المارقةُ في نقاهة اليوم السابع للأنفلونزا:

وجهٌ مضيء

صدرٌ مضيء

ويدان مضيئتان.

"الذين استخرجوا العقاربَ الشقراء من أرضها

وأذابوها في النار

"الذين مُرِضُوا بِقنْص الحجل وخرجوا غير مكترثين لمقبرة

أبناءٍ ماتوا من الكوليرا

"الذين حملوا سبائكَ الذهب وارتدوا أحذيةً بنعالٍ معكوسة

وفي ليلة ثلجٍ عبروا دون أن ينتبه حراسُ الحدود

"الذين تزوجوا خائفين من المرايا القليلة في حجراتهم

الكلسية لفرط ما أوصتهم الجداتُ القديرات

الطائشون الكسالى

الرماديون بكثافة

الموسميون

هؤلاء لم يكونوا مبالين، كما هو،

لا بالكدرِ يورّثهُ الأب

لا بالذئبِ يميّز الرائحةَ وراء المزاليج

ولا بالجن يتنزهون حول المعصرة

هم مضوا إلى أشغال اليأس

هو للطريق نحو العنب.

والطريقُ نحو العنب امرأةٌ مضيئة أيضاً

:وجهٌ مضيء

صدرٌ مضيء

ويدان مضيئتان.

الماجن

"الليليُّ من القلة .الليليُّ حَجَليّ.

الليليُّ بعينيه كنجمتين كان يحلم بأرض منخفضة

يحشد التبغ فيها وثم ليشعله وثمَّ ليشهق دخانه من الأعلى:

هو المسرف كربٍّ مسرف

هو الماجن كرب ماجن"

القلة :كانوا فلاحين شاغرين

كأيامهم الشاغرة والمغلقة برتاجاتٍ من الحديد

يتواطئون مع الشمس على الأرض

مع الأرض على الحجل

مع الحجل على النساء

و في الليل المزدحم

لعائلة مزدحمة كشجرة تين في آب

تتكالب القلة على النوم

لتنتزع لهواً شتلة تبغ مجفف . وعلى الأكثر نساء .

تشبهن فيما تشبهن

فتاة السَّنَك في اليد الماجنة المزدحمة

حجلي :صفة الحجل، والحجل حارس الهواء، طواعية

كي يبقى هابّاً في تنانير النساء

المنذورات لزهور حديثة

أو قبور حديثة

فتاة السنك :تعرفها اليد الماجنة من نعاسها المتزن.

بلّورات هنا

طيوري

طعنٌ في الهواء وما مِن دَم

أما الجسدُ فيتم نفسَه بفراغٍ تحرسُه بارداً لزائركَ

أيها العدم

كان هنا .الكرسي

.كغيره .يكتفي بما يتركه الهواءُ

القليل .ما من تعرقٍ

تخلفه عجيزة، ما من انحناءةٍ

على المعدن، ما من ركبةٍ تًُنْثَنى

فتُؤْلِم.

:ملحُكَ على جلدي، هنا، هناك

وجهي يبزغُ من دمعكَ

أيها العدم، شقيقي.

فونوغرافٌ قديمٌ للعائلة

"كم من العنف يخلفه الماءُ في الليل،

من عطبِ حنفيةٍ وحيدة"

ا

هواءُ الصنوبر يختزل رزانةَ الصنوبر

هواءُ الذاكرة يختزل كائنات الذاكرة،

والهواءُ هنا يختزل ما يحيط " سلطانه يوسف " في ثلاثائها:

أصغرَ حديقة في الشتاء،

الصدأَ في متجر الخردة،

والجادةَ التي تمشي عليها نحو الغرب

نحو نساء صغيرات يتعبهن الوجد،

و هيجانُ قمرٍ ينبئ عن مغص يحين في أسفل البطن

بعد حين.

II

الخالة بروين تحلمُ أكثر مما تحب، تخافُ أكثر مما تحلم، تدخلُ على الصغير يعتز لُ الصخبَ في شقتها ،

فتبكي لأسئلتِهِ، ويبكي لها

و "الفكرة ُ "كعيونه الحجلية تنبثُ في ذاكرةِ معلمين سالفين

:الطفلُ وهو يركب حماره الأشهب

الرجلُ وهو يُعدم في جوار فكرته العنيدة

وما بينهما:

قامةُ المرأة تُراقُ على الصنوبر كَضباب.

III

مشجبان متجاوران تحت كثافة المعاطف،

وبعض سراويلهم الداخلية رطبةً بعد،

مشجبان عاليان في حجرة الطلبة يستمرآن الجوار الموحش، وما يقال عن المغني متبقياً من فونوغراف قديم

:كان يصطاد الأفاعي بيديه العاريتين

ويربي التبغ ملءَ سفوح زوجاته الثلاث

يغني للجبليين في أعراسهم المديدة حتى الحناء،

"ويقال " حينما كان يغني:

يكون الرجلُ امرأَته،

المرأةُ رجلَها

وَ نحوه تتجه قطعان الحجل

منتفضة من إقامةٍ غائرة في الريح.

الورثة الرومانسيون لقمر قديم

حنينُنَا أشد من معانقةٍ تتم

/ما ينبغي أن نرويه / ما لا نستطيع أن نرويه/

نحب الحياة قبلةَ فمٍ في فيلم / فتكون الحياةُ قبلةَ فم/

نحب القمرُ مبللاً لسروة / فيكون القمرُ مبللاً لسروة/

العينُ على ماء العنق / اللعابُ في دمنا الرقيق/

نتخيلنا مستمرين / ونتخيل أعدائنا مستمرين/

ويشبهوننا : يصرون على خطأ حار

على شاي حار على أنفاس حارة/

أبطالنا لنا

نتقدم في نفقٍ لعبور المشاة ،فنخشى أحداً ما يأتي من خلفنا/

نمرّ تحت شجرةٍ كثيفةٍ أو جدارٍ في الليل،

فنخشى أحداً ما يقفز علينا/

نرتدي الشر كقفازٍ يُستعمل لمرةٍ واحدة

نحيطُ أنفسنا بملائكة / ونبقى نخاف

يدُنا في الماء ونحسبُ الماء ينبع من يدنا/

وثم الذبول/

ذبولٌ أخضر نألف الأرواحَ فيه / كما نألفُ الله في بيتنا / وبيتُنا غيمةٌ عالية من موسيقى نقتنيها بعناية / حيث البابُ أكثر من حديد ٍمحض / والنهارُ أكثر/

نتعب من تفسيراتٍ ميتافيزيقية لصداعنا / لنزواتنا/

لا نهدأ إلا على زغبٍ/

لا نحبذ إلا ما يرشحُ من إبطٍ نعرفه/

وَ

فقط.

عينٌ لا تهتز

هذا الشتاء

طحالب كثيرة

نبتت على الدرج.

على أغلب الظن

عبثٌ أن تدير إبرة الـFM

أو أن تعلق على تصرفات أمريكا

أو أن تجلب خطأً للإنترنيت

نظرةٌ جامدة

والخطو الثقيل

بين السرير والباب

ديناصورٌ

وظلالك مستحاثات

عينك لا تهتز،

السخّام يسدّ ثقوب المدفأة

ولن تنتبه

أنـها منطفئة

سوى

حين تنكمش أطرافك من البرد.

"لِيلِي" لا تتأخري

أعرف أن ما تتأبطه مجلة مصورة، لا دفتراً

وأنها ذاهبة لتشتري البسكويت، لا إلى المدرسة

لأنها فتاةٌ طيبة فسأحضّر لها ما تحب

/الشاي بالشوكولاتة /أي الميلو

عن قصدٍ

تنسى طاقية الصوف على المكتب

لتسترجعها فيما بعد

طيلة نهار الأربعاء

تمكث في البيت

كيلا يخطفها من السوق

عدنان

السيء

الأعرج

الذي يقذف الأطفال في نهر عفرين

. " لا تتأخري ليلي."

وألمحها مسرعة نحوي

ذات يومٍ ربما

يسليك طفلٌ صغير أيضاً

على كرسي بارد

ستحدقين في اللاشيء

لا عدنان خطفكِ

ولا أمك أنّبتك

لأنك لم تتأخري

سنكون على ما يرام

أكثر ما يخلفه بازار الأربعاء

في الساحة

أكياس نايلون

هامدة كحيوانات بليدة

كيس بطاطا شيبس، لامعٌ وزاهٍ

يركن قرب باب الصيدلية

تدوّن ملاحظاتٍ وأرقاماً عما ستفعله لاحقاً

تظنّ أنك تتهيأ للمستقبل.

طاهرٌ، لا مرئي، و ربما لاشيء

موجودٌ ولا شيء يدل عليه، سوى ما تدونه عما ستفعله

من كابينة الهاتف

تحدّق في الساحة

"سنكون على ما يرام"

وتضغط البطاقة.

هواءٌ خفيف

وتهتز الأكياس

كيس بطاطا شيبس لا يزال قرب باب الصيدلية

كأنه لن يترك مكانه.

كن كهفاً

الراعي مريضٌ

والذئاب

كثيرة.

لأنك الضيف

عينك لا تجفُّ على شبح قادم من الباب،

عينهم الآن

على ما تتركه.

تصعد الجبل

وتبقى السماء عالية

عميق شاسع

كندمك على ما لم تفعله

هشٌّ كصبرك على قلبكَ

صلدٌ كقلبك الذي تصبر عليه.

فكن كهفاً

اتبع شيطانك

لتصل إليك.

لا تقبّل ظهر المرأة فتفقدها بسرعة

لتكن قبلة فمٍ لتستودع فيك سرّها

تريد موتاً بارداً!

هكذا إذن,

. الموت ليس ماءً يا حسن.

حالما تغادر إلى نومك

خذ ميدالياتكَ

مخابئُك الرطبة

أيها الصغير كأرنب مراهق

تَسِعُكْ.

إنها تُجاكرُكَ

:لا تومئ إلا لغيرك ليجلس بقربها،

سَرْبَستْ يتصيد الضفادع

ليمضغها بمائها الرخو

"الجرّار على الجرف يكاد أن.. ،

و أزيزٌ من الحديد

من جهات التوت حيث والدك

يَصلُ

ليصفع رقبتك.

خذ ميدالياتك

جهاز الهاتف لكي يوقظوك،

القطرةَ أيضاً

القطرةَ العينية

ليزول الاحمرار عن الأخيلة.

المُورِث

بِمهنك الصلدة،

كنتَ تبتكر الرطوبة فيما حولك.

تعرفها، زوجتك كسلالتها المتقشفة تكره الضيوف

وربما تكرهكَ

وحانوتك الصغير أيضاً.

قدماك في العنب

يداك في الغرانيت

تحفر جرناً لماء الحصان

أصصاً لرِياحين ناعمة.

أيَّ مغصٍ آلمك فلم تحتملْ

أيُّ قمرٍ من النحاس محبوسٌ في تينكَ

أيُّ نبات من الحديد يتوهج

وأنت تُلحمُ تخاريم المعدن.

في الليل تتوحد جهات الرجل

:

فاذبح ديكك الرومي

وادعهم

ادعهم

لدبكةٍ تكتمل في فيض أعراسٍ

قريبة.

زوربا صغيراً

(عيناكَ مدهشتان فحسب، الأشياء فلا)

ذيلٌ ورقبةٌ قوي

فيكتمل حصانك في برّيته.

ضبابٌ وديع

وهواءٌ أخضرٌ لما حول شجرتك العليا

وثمَّ تنهض على جسدها المطعَّم

بفاكهة من يدك المدهشة.

آنَ لعبُكَ.

سيجلدونكْ.

إنـهم يتفقدون أصص زهورهم . فوق .

بعنايةٍ انزلْ

: عنادك يدلُّهم

والباحة كذلك ممتلئة برائحتك الكثيرة.

ترى من تحت قبعة

وفي العتمة

يكون ظلُّ السروة في الباحة :السَّروة في الباحة

ظلك :أنت.

هيكل غامق موحش لابد من هواءِ لتدرك أنه شجرة حقاً،

اليد البطيئة

ونفاذ الأنفاس العميقة لنكون نحن أنفسنا.

ضوءٌ سيتوهج،

لا أكثر من سيارة أخرى تعبر الأوتوستراد.

سماءٌ ملقاة خلف الكتف الضئيلة

شتاءٌ ينجز نهايته في رائحةٍ تبقى معنا

ترى من تحت قبعةٍ، إذن:

الشتاءُ شتاؤك شتاء الأعمى

أما المرأةُ فلسمائها

أبعد من شجرات الفلفل البري

أبعد من المبنى الباقي من الليل محض رخام رطب،

أبعد من يدك البطيئة في مكانها

تبرد تتكمش

وترق كألمٍ يزول.

أعدائي

الإصغاء الكليُّ

الإصغاء، وحده، لشجرة في الجوار

يُحيلها امرأة،

:قلبها حمامة، هواجسها هواجس برتقالة في الليل،

أعرفها طبعاً، وأعرف أنها الآن جالسة وراء المكتب وتفكر،

تفكر في ما ستفعله لنهارها كي لا يطول،

وتتفاجأ أن لها أعداء.

وأنا كذلك

بشهية مفتوحة أقرأ دوستويفسكي منذ أسابيع،

لستُ السيد

يجلس على كرسي من الخيزران ينظفها الأتباع بزفيرهم،

ولست التابع

يتكلم بمذلة، وينبض صدغه قويا لإيماءات السيد،

بطيئاً

مسالماً

أمشي في الصباح، ولا شيء

أمشي وكامرأتي الجالسة وراء المكتب وتفكر،

أجهل أن لي أعداء.

هواءٌ لأجراسنا

الغيمة فوق حقل الفستق

السمكتان في الإكواريوم

ستمطر.

والفيلم سيمضي حاراً عنيفاً دون أن نخمِّن نهايته،

إنها الأجراسُ أجراسُنا في الخارج

وما دمنا مقيمين

فلن تتمكن الآلهةُ من العودة إلى الأرض.

كتفاي تصعدان تتفتحان تكتملان

أخضرٌ ناعمٌ ينسابُ خارجاً كخزف

الغيمةُ تتخذ شكلَ امرأة فوق حقل الفستق

السمكتان في الإكواريوم

ألم أقُلْ!

إنها تمطر

ضوءٌ يغرقُ في ليل بحيرة

ما أخاف عليه بالضبط:

هذا الضوء

ضوءٌ

أليفٌ

مبللٌ

قليل

يلتمع في داخلي كعيني حيوان وليد.

لذا

قلت " :أرضي منخفضة، كتفاكَ عاليتان

فخذْ هواجسي،

وهبني، ربي، من لدُنْكَ هواءً طرياً

يسترسلُ خلاله الطيرُ القديمُ في فمي.

الموسيقيان ينضجان كشجرتين من الماس

وأنا أقول ولا أرى شيئاً

رُبَّما كلامٌ نَفسُه لأسابيع سالفة

ربما المشهدُ البهي

وهو يخلو من تلقاء ذاته

لراحةِ اليد على ظهر كرسيٍّ شاغر في الجوار

:الرجالُ يخرجون ليقفوا أمام المبولة

كخط من عباد الشمس

بينما النساء

النساءُ الرخوات

الشمعيات المندلقات البطن

يجتزن الدرجَ الطويل

كشهوة راكدة.

صوتان قرينان كشجرتين من الماس

وأنا لا أرى شيئاً.

ما لا ريب فيه

ضوءٌ

أليفٌ

مبللٌ

قليلٌ

يغرق في ليل بحيرة.

عشبٌ بارد الآن

سلحفاةٌ تتكمش داخل درعها

ببطء.

المسافر

ككراهيةٍ حارّة

ينغرز بورتريه المرأة موشكة ً على بكاء.

هواجسٌ تجفُّ في الظلّ، كماء، هواجسُ ليلةِ الجمعة.

رأسٌ مهتزٌ

يؤول لنعاسٍ في الأمام كما لو على ركبتيها.

هواءٌ يحيطك،

يتقادم في هواءٍ كثيف في هواءٍ آخر.

أخضرٌ إلى الوراء كأنما تغادر إلى الأبد

بنعومةٍ إلى الوراء:

غيمةٌ تالية، عَلِقَتْ ، ستَعلق في شجرتها.

تتنفس .تتنفس.

كأنما تغادر إلى الأبد.

أشواق تؤلم باطن اليد

ما يأخذكَ في الصباح :بستانيون يُشذِّبون الدفلى، بردٌ

لذيذ ,بوّاباتٌ تودي إلى حدائق واطئة، شِباكٌ

معدنية نظيفة، جواربٌ حريرْ وسوتياناتٌ

مخرمة تتدلى بين التنانير .تمشي . أخيلةٌ

خلف الفرنسيسكان.

الأخيلةُ وحدها تبقى؛

لاشيء سوى إيماءة) نور (

إلى فروع المكحلة تطول،

وما يُنتَظرُ في تواتر هاتف الظهيرة:

موسيقى غيرُ دارجة

أشواقٌ تُؤْلِم باطنَ اليد،

وتفاحاتٌ ناضجة

ستتخيّلها تسيلُ في بحّة امرأةٍ من الخزف.

المرضى

المرضى لاحظوا ؛ الهواءُ ضاغط ٌتماماً،

والحجرةُ المفتوحةُ مع الدهليز أشبه بإسطبل طويل

المرضى يسقون أصصَ نباتاتهم، يكتشفون:

"ثمة أزهارٌ أكثر من رديئة"

المرضى وهم يتسلقون أشجار التين

سيرون كم الأرض منخفضةٌ، هذا الخريف،

وكيف أن المنازل ليست بالعلو الذي تصوروه، أو غادروه

بيتٌ بارد.

أحقاد كثيرة تظلُّ معهم أينما ذهبوا

يربّون الموت كقط، يدللونه كإبنة

باشمئزاز يلمسون بتلات الزنبق،

يشربون حساء الجزر باشمئزاز

الملائكةُ عند الرأس

العائلةُ في الممر

أما المرضى فإنهم يتبولون على كرات النفتالين بمرح

الألمُ نجاة .المرضى يمضون

آهٍ أيها المريض:

افتحْ كفك في الليل، ترَ نجمة

امنحني نجمتك وامضِ يا مريضي.

نحن أبناء الظل

خفيفٌ , باردٌ , أوحد

ونحن أبناؤه.

الكرديُّ ظلُّ الشركسي .الشركسي ظلٌّ راحلٌ لعربي مقيم،

العربي ظلُّ الظلِ نفسه.

سيصل نهار الجمعة، يذكرنا بقدّاس لموزارت

و"Voice of the blood"

ويغادر نهارَ الجمعة أيضاً

يغادرنا إلى بيضاء مثله، يرصدها . هو الأبيضُ . في عراءٍ أخضرَ بعيد.

كئيبٌ وجهكَ ،بستانكَ كئيب.

حارٌّ نبيذكَ في أجوافنا نحن الملائكة الصغار،

والكرديُّ، أي أنا،

كيَدٍ تدنو من امرأة

ستفتنني مسرّةُ غصنٍ في الأعلى.

غُصنٌ يرثُ القمرَ للحظةٍ ويموت.

يُولد و يموت.

وَ يموت.

"شجرةُ الجوز

تشتاقكَ و الله"

ولأنني كيَدٍ تدنو من امرأة

لا أظننا سكرنا بما فيه الكفاية

وأحسب حقاً

أن الأكراد، تسبقهم طيورهم،

قد صعدوا أو يصعدون الآن نحو سماءٍ أخرى.

أناقة

رائحةُ الحقل قد تجتاح المطبخ الضيق.

قد تنبثقُ الطيور

من الكلس، وجيئةً ذهاباً في الممر.

شجرةُ الأنغيدنيا في الفناء

يمكن أن تثمر الأسماك

أو أن تطول لتشرف على البحر من مسافة 500 كم.

فقط فمكِ.

الفضي الصغير

فمكِ فقط

يكفي لأن يعيد ترتيب العالم بأناقةٍ فائقة.

أصوات

أنا كلامُكِ في الليل

وكلامكِ في الليل كهذي النجمة

أكاد أتنفسها بينما

تكاد لا تُرى.

طنينٌ في الأذن، خلاءٌ كثيرٌ مديد.

لا صوتَ لشيء

كقطعة نقد معدنية ابتلعتها آلةٌ معطلة

امتلاءٌ بالأصوات جميعها

: حفيفٌ خشن بين بدلات الكتان على المشجب

إيماءاتٌ بريئة لمرضى الأنفلونزا

تِلفاز

أما الطيور فالخارج لها

غير مرئية أصلاً، مطمئنة، وديعة

تنزل، تُقبِلُ لتنحاز إلى قليلٍ من صوتكِ النحيل.

أنا كلامكِ في الليل،

وكلامكِ في الليل

كهذي النجمة الممتدة في مياهٍ عميقة

أكاد أتنفسها بينما

تكادُ لا تُرى.

سروةٌ تهتز في مستوى نافذة

في الحرارةِ اللينةِ

وبخفّة

تتبع طيوراً في الخارجِ

كأنك تتلاشى

"لست وحدي، لكنهم نائمون.

أحمد سينبهني بأنني أتكلم بصوت مرتفع

بينما الهيدفون في رأسي.

لا أحدَ سيدخل

ضوءٌ كثيرُ سيلمسُ مسندَ الكرسيّ بدعة

الآن

لم يبقَ منكَ شيء

:

فقط، التون جون يغني للحب في عام آخر

وأشبه بمروحةٍ من الريش

بهدوء

يهتزُّ أعلى السروة

روزا يجب أن ترى البحر

إرثُ العائلة لا يُحتمل.

أربابُ العمل غليظون للغاية.

رداءةُ الطقس الصيفي.

ألمُ الكولون المشتد ربما يكون عن غصةِ الأمس

لذا

غداً في الساعة الثالثة

سنصمت كثيراً

ورُبَّما نبدو ملولين أكثر.

غداً في الساعة الثالثة

لن أفعل أي شيء، عزيزتي، ولن تفعلي

سأقول:

روزا يجب أن ترى البحر

ونحن ينبغي أن نأخذ صورة.

غداً في الساعة الثالثة

وريثما يضبط المصوّرُ آلته

سأفكر كربٍّ مهزوم:

هلاّ اتسعتِ أيتها السماء

و أنتِ أيتها الحديقة

الصنوبرُ قامتكِ

فإلى الخلف لحظةً واحدة

لتنقذينا من كلِ هذا الانحناء.

نَفْسها

تنامُ و تنامُ معها شجرة الأنغيدنيا

المرأة نفسها التي أحببت وقتها مؤخراً

الشديدة العذوبة والتي بقمرٍ فوسفوري نحيل

تتسربُ للضوء

فيشفُّ كلسُ الممر والدرج الهابطُ أسفَله

المرأة بعنفوان ظلّها الصغير

تخاصمُ ابنةَ جيرانهم القُرْباط

تشتكي بذاءةَ شجاراتهم

نتانةَ جلودٍ تُدبَغ، ستُسقطها الريحُ

عن حواف منزلهم الغربي

المرأة نَفْسها

سيمرُّ القمرُ على مضضٍ . الليلة .

دون أن ترشَّه بالماء

والقرباط سيعلو صراخهم أكثر

وتظلُّ على العتبة

غيمةً هادئة

وجهها بين يديها

طويلاً

تحلم تحت شجرتها

شجرة الأنغيدنيا.

عزلتان

يدٌ من الحديد يعتريها الصدأُ على شفة البوابة

غبارٌ

لا يُزالُ عن فوضى نَوْمَينْ.

لا الأصدقاءُ

لا الإلهُ يهتزُّ في كرسيّ الخيزران

ما من أحدٍ

سيعبأُ بالنبتة تبزغ في ما بين عُزلتين.

وتقول:

هكذا أضمُّ إلى جسدي الفراغَ العزيز الذي كانه جَسَدُكَ،

وأنااااام.

دمٌ على ليلةٍ أخرى.

عُزلتان.

لا أنفاسَ تُشَمُّ في نعاسٍ ذهبي,أو في ثياب طرية وراء البوابة،

لا موسيقى تُدهِشُ، من البحر تَصِلُ الآن.

....

....

كرةٌ ترتطمُ بشدة خَلْفَه

كرة تنحدر في الزقاق

كرة

تخفت

في

الأسفل الـْ

أ

س

فـ

ل

جاز

حنانُكِ ماء.

النورُ البرتقالي على وجهكِ الصغير.

تتبعك نساءُ

وأنتِ بقوةٍ تندفعين للبحر المندفعِ بقوة،

تهبطين تهبطين

فيصعد حتى خصرك الرفيع كعمود من القمح

حولكِ رطبٌ

في المكتب، في الحديقة؛

تلك رائحةُ العشب الغض، رائحتكِ في ألفةِ الانحناء

على الكرسيّ.

الملحُ عالقٌ على فمكِ،

والزبد يصلُ ثيابكِ في الظلّ.

حنانك ماءٌ

والضوء البرتقالي المهتزُ على نحاس الساكسفون

ذاتهُ

على وجهكِ الصغير

وعلى الرخام خلفه مؤلفاً التفافَ رجلٍ بامرأتهِ.

حنانكِ ماء.

وبعد

مَنْ لي غيرَ وجهكِ الصغير!

فوتوغراف

هنا مهرجٌ بطبلته المعلقة إلى عنقه,دببةٌ وعصفور أصفر

هنا آنيةٌ من الخزف المهيأ للثلج والويسكي،

وهنا

أمام سجّادةٍ ممددة حتى الاستريو في الأعلى

تجلس حاضناً الطفلين

ويكتملُ المكانُ كحكمةٍ طرية

فأقول:

الفرحُ ظلٌّ امرأة،

وامرأةٌ ممتلئةٌ كنجمة وصاخبةٌ كنجمة

تستطيع أن تبزغ في ليلكَ كما تشتهي

الفرح ظلٌّ امرأة

وبكل يُسرٍ

تتركه أينما تمرّ،

أو تُقْعِدُهُ كطفلٍ مهذب

في فلاش الكاميرا.

ضباب

من انحناءِ الدهليز

تنفذُ رائحةُ الكولونيا بشدّةٍ إلى الداخل

لتَتَراءى له

كتفُ المرأةِ من الخلف

كـ ظلِّ شَفرة.

غيرُ مبالٍ

بما في الخارج:

لا البيرة بجانب البحر

لا جرأة الساحليات على الكورنيش

لا المكوث المضجر في قطار الساعة الثالثة

ضئيلاً

رقيقاً

بارداً

ينعطفُ إلى الحجرة الجانبية

كـ) ما بعد السقوط(

حيث الأب في بيجامة النوم يمضي إلى مملكتهِ

بينما

الابنةُ تسألُ فيما إذا كان الجُوري

سيُفتقدُ في عيد فالنتين

مرتطماً بنفسهِ

في خافتٍ من الضوء

حيث انحناءُ الدهليز

والتنفسُ أبطأ

تتراءى

له

كتفُ المرأة من الخلف.

الأشباح وهم يمرّون بجانب السيدة الإنكليزية

نزلاءُ فندق البارون

يقترحون حفلةً تنكرية لأجل رأس السنة

مشوّشةً من صداعٍ نابض

ستغادرُ إلى حجرتها باكراً

في الممر

تتخيلُ الجريمة

ثمةَ من ينقع الشاي الأخضر

ويحدّق

في الباحة

الليلُ ينعشُ ذهنَ السيدة الإنكليزية

بدهاءٍ من الفولاذ:

بمكرِ العارف

يروح ويجيء المفتش في ردهات قطار الشرق السريع

الليلُ الرطب

ينعش الأشباحَ أيضاً

لطفاء وطيبون

يطوفون العالم

كضبابٍ

لا يؤذي

الأشباحُ الذين يخشون أن يتأملوا شجرات الميلاد على الشرفات

الأشباحُ الذين ينسلون إلى السماوات كي لا يفضح النهارُ أنفاسهم،

الأشباحُ الذين يسعلون ولا ينتبه إليهم أحد.

دمٌ جاف، ثأرٌ لائق لجنازة ماضية،

ثلجٌ طويل يخفي شهوة الذئب، وخطوة الغامض

أحداقٌ كسولة تشعر بالرضا

حين يُقاد أحدٌ من كتفه

السيّدةُ

تهدئ صداعها بقرصي أسبرين، وجريمةٍ معقمة

أما الأشباح

فهائمون لا طمأنينة لهم،

لا يندهشون من شيء

لا يتفاجأون،

يحرسون ما حدث في جريمةٍ لم يرها أحد

يحرسهم صوتُ الدم.

ما من جريمةٍ أبداً.

فقط، سيدةٌ تخيلت لتنام

ما من أشباحٍ أبداً.

فقط، ما يظنه رجل ينقع الشاي الأخضر

ويحدق في الباحة

السيدةُ الإنكليزية

بينما تخلع سوتيانها، تحكُّ تحت إبطها وتفكر:

ما يزال نظيفاً

صالحاً لأرتديه الأسبوع كلّه.

عين الطير

في عين الطير

أتهدّل على كرسيٍّ من المعدن تحت الشجرة

بقميصٍ بحارٍ ونظرةٍ فلسفية

أما الظلُّ فكأنه مرآة ماغريت:

رجلٌ بقميصٍ بحار ونظرةٍ فلسفية

يتهدل على كرسيٍّ من المعدن تحت الشجرة

أفعى تزحف أمام الباب

البابُ مفتوحٌ على الغابة

جمعةٌ صلبةٌ، باردة، خشنة،

وقتٌ يكاد يُلمس

ما أفكر فيه:

فلأكن طائشاً

ولا أسوأ من الحكمة مبكراً

مأدبةُ عشاءٍ ستبقى في عين الطير، كبقعة بنفسجية، ربما لأنه اليانسون ينفذ عميقاً تحت اللسان، ربما لفتنة عينين ملتمعتين لامرأةٍ تعلّم أصدقاءها لذة أن نعبر الجسر بخفة) اعبره كأنما ستحلّق(، وربما من خيالٍ مريضٍ تشفُّ التعاسة معه حتى لتبدو كرائحة وحسب، أو كفكاهة، أو

كضوءٍ يبرق على شجرة مهتزة

ويزول دونما أثر.

ما أفعله الآن، أراقب طيراً من وراء شجرة

ولئلا يجفل الطير مني

سأكون عينُه.

ما لم يحدث أبداً

لم أكن أمضغ علكةً ولا أستسيغها أصلاً

ثمَّ

أذني غير مثقوبة

ولا أضع أقراطاً

فالمؤكد أنها أخطأتني

وربما أخذت تتوهم

حين تجمدت على بعد مترين.

يصعدان المنحدر نحو منبع النهر

متأبطةً ذراع القادم من ألمانيا

تفتنها .كما ستقول فيما بعد .

ملامحُهُ المغربية وشعرُه المكزبر.

ما طرأت غيمةٌ في سماء الاحتفال

لم يُدَّق جرسٌ..

لم يصرخ أحد..

سوى أنها مذعورةً

أفلتت ذراعه فجأة

واستدارتْ نحو صغيرنا الذي غرق.

أرادت أن تشمَّ وجهه، تعانقه

لكنها لم تصل

وتجمدت على بُعدِ مترين

أما الصغير

فكان خبيثاً بما فيه الكفاية

لم يغرق بالطبع

إنما ظلَّ قربي، ولم يؤتِ نحوها حركة.

إنه مغرم بالمهرِّج

ألاحظ مرحه حين يشدُّ بنطالي

بينما أنا

بين حين وآخر أربّت على رأسه

غالباً

أرنو إلى البعيد

حيث ينزلق الماء على المنحدر.

صريرٌ في الفراغ

الكَوْلبة بجوار محطة بغداد

شاغرةٌ تماماً بعد العاشرة

(يبدو أنه في مكالمةٍ مع امرأةٍ بعينها)

شاغرةٌ

حيث ضوءٌ بطيء فحسب

من الصيدلية المناوبة باستمرار

" :سيّارةُ الأمن ظلت تمكث ساعتين متواليتين في رأس الحي

" :بداخلها ثلاثة رجال متأهبون

" :يا له من عميق .كنت أنوي إتمام مذكراته.

" :أوه . دوستويفسكي.

" :شرفٌ لي أن أكون كأي أثاثٍ في منزلكِ معبودتي

" :يقال أن رندة هربت مع شاب فلسطيني

" :ديمتري . أليس كذلك؟

" :ربما لتحميه

" :نعم .نعم .نعم ليس إلا

" :و أجهِّز السماورَ لضيوفكِ واَخْتَبِئ في الحجرة

الأخرى حين يصلُ عشيقكِ

" :دقيقة فقط .الصوت مشوش قليلاً

" :أعتقد أنها انضمت لمنظمة سريّة

" :معدتكِ تؤلمكِ ما تزال

" :سأريك لعبة .شكلي من يديك المتصالبتين هيئة طير

" :السرُّ قوة

" :الكهل في الطابق السفلي

" :مائة ألف أو أكثر .ياللفظاعة

" :كان يمارس العادة مرتدياً ثياب زوجته الثانية

" :صداعٌ شديد .أغمي عليّ البارحة

":ضبطه أبناؤه أمام مرآة الحمام

إنهما طير طيرٌ رقيق نعم

ساعتان متواليتان جروشنكا سمردايكوف

هو القاتل ربما لتحميه ربما غيره السماور صداع شديد

شديد متأهبون منظمة سرية رأس الحي بيت الموتى

محطة بغداد ضوء بطيء الصيدلية المناوبة باستمرار

الكولبة الشاغرة دائماً

صوت بطيييييء

صريرٌ

ي

ت

د

ل

ى

سماعة متروكة

ستتأرجح في الفراغ

رُهاب

يشرد ويقشِّر الفستق.

ترهبه اليدُ تظهر فجأة

من وراء الباب

المريض نفسه

يقرفصُ في ظلّ البيت

ويقشر الفستق

أحياناً يبكي

من الصداع

لكي يتفادى الشمس على عينه مباشرة

يبدّل مكانه

تذهب العائلة إلى النوم

والفستق يكفيه لأسبوعٍ و أكثر

يدٌ ستدعوه من وراء الباب

يدٌ فقط

بيضاء

وشاحبة قليلاً

كم اليد مرعبةٌ في الليل!

بورنو

بخفةٍ يصعد الدكتور فولان درج المبنى

مطمئناً يستلقي جاري

تعرقٌ باردٌ فقط

فلا أحدَ

سيأتي ليلة الجمعة

بينما الممرضة تتلوى على سرير المرضى

يدنو وينحني بشعره الطويل

وبمفرداتٍ فرنسية وقحة

يلهث الدكتور فولان

وجاري يلهث معه في الطابق الأعلى

Open

Close

Play

وحتى الصباح

لا قضيب الدكتور فولان يخذله

و لا جاري يكفُّ عن إعادة الفيلم

من أوله.

الروح مثلاً

لسنا مهتمين بالفلك،

ورغمَهُ اجتمعنا في زاويةٍ قصوى تحت شجرة الأنغيدنيا

لنراقب.

لسنا نؤمنُ بالحوت، بل بأنه ظلٌّ يَحجُب

ورغمه شرعنا نقرع البراميل بغبطة.

برتقالة .كرة مبعوجة .عينٌ في صورة تشريحية.

ثدي بحلمة بيضاء..

وأخذنا بالتعليق حتى همست إحداهن سراً للذي بجانبها:

العتمة رجلٌ يتمدد

وما تبقى من قوس القمر :فَرْجٌ مضيء

كنا عائدين من العمل، وبعضهم لم يتناول عشاءه بعد.

ربما الخسوف يهمنا بشكل ما، الروح مثلاً.

بعد ساعة .مرَّ أحدهم في الفناء،

توقف وأخذ يحدِّق في السماء:

كل شيء

يبدو

وكأن عرساً قد تمَّ للتو.

الذي

الذي رأى طيراً فمال إليه، فراتاً فخاض فيه، امرأة فحرثها

الذي ينتبه لمكرٍ خفيٍّ يراود حدقة الخاطئ المصاب بالجدري

الذي الخاطئ

الذي أولم لأربعين فارسٍ ثم علق رؤوسهم على ظهور جيادهم

لتحملها إلى كفر تخاريم

الذي باع قريةً بطربوش،

وبمئة رجل أهاب جنود محمد علي،

الذي يهيم ليصطاد قبقبة الحجل من فم الحجل

الذي يروي درويشي عفدي لسبعة أيام بلياليها،

في النهار يحفظها،

في الليل يدبر لدمٍ لزج،

الذي يتوضأ من دمٍ لزجٍ ويصلي

الذي يبني شجرة العائلة، ولا أنثى تنبت فيها

الذي أحبّ لينجبكِ،

الذي أصغى فأحبكِ.

أيها السيد

أيها الكوريدور

الداكنُ من ذاته الأزرقُ من الأخيلة

أيها الدرج

المنحدرُ بقمرٍ باردٍ أعلاه

المائعُ

الداخل في بعضه

أيتها الشجيرات حول الساحة

تُرى من سريرٍ عالٍ

الهلام كأشخاصٍ نتذكرهم بمشقة

أيها المستلقي كقبر

أيها السيد.

وقد مرَّت القطارات في ليلة كثيرة:

أيها الجسر

ألا يؤلمكَ ظهركَ!

الكنزة

القطنُ

رحمة.

كنزتكَ محاكةٌ من شمس.

الكنزةُ تحبُّ عظامك.

الليلة أيضاً

وسيغفو يوسف بين ذراعيَّ . الليلةَ أيضاً .

وجحا لم ينتبه بعد

أن الحمار العاشر

تحته.

بطء

مادام الجلوس (كبوذا) بقدمين متصالبتين لا يؤذيكَ

فلا يهمك شيء

:يكفيكَ أنك تلاحظُ البطء

الذي لا يُلاحَظ

لرغبةٍ أو شمس تنمو،

لبحيرةٍ أو شجرة دلب تموتُ خلفَ ظهرك.

سريركِ الذهب

أيّامهُ اللينةُ كغريزة

أيّامهُ العميقة كضباب

أيّامهُ كلعاب أو ماءٍ وغرانيت.

أيّامهُ المذيّلة بذئبٍ لا ينتبه إليه أحد

أيّامهُ بفمٍ من غبارٍ قليل وسرٍّ يُطاق

أيّامهُ يوقظها أنبياءُ النهار، الطيورُ مجازاً

أيّامهُ في صلةٍ مع شجرةٍ معاقة وأباجورٍ مُعاق

أيّامهُ تقود نفسَها إلى جحيم نفسِها

أيّامهُ اللاشيء

يكوّمها خلفه كبحيرة

ويقول:

عزيزتي

هذا العمر

هذا العمر

سريركِ الذَّهبْ.

حدسكِ

هشٌّ لكنه يدوم

أنا ما يتبقى من رائحتكِ في ثياب النوم

أنا الخميسُ الأمس

يغمى عليه

أنا الجسرُ الصغيرُ

أجذبكِ بماءٍ كئيب

يمرُّ فتمرين

تاركةً لي :ثناءَكِ

للحديقةِ :خروجكِ المضيء كجرح

أنا

الجريمةُ المشتهاة في ذهن روائي أسباني

أنا الروائي

انتشي بأزهاركِ على قبري

حدسكِ

علاقةُ الضباب

باختفاء وعولٍ كانت تجري أمام العدسة

أنا عصافيرُ غير مرئية

تكفي الصباح

لإيقاظ العاطلين عن العمل

أنا العاطلُ عن العمل

أستيقظُ لأجلكِ

أنا المدينةُ تضمكِ

أرى ثلاثة أرباعها من خرم إبرة

أرمي الإبرةِ

وأنتظركِ

أنا المغفرةُ المتسعة

قميصكِ المُسبَل على التنورة

هواءُ خصركِ

قمحُ اقترابكِ مني

كلامٌ ربما يُنبئُ بهزيمة على فمي

أنا فمي

أغلقيه

بفمكِ أغلقيه.

أنيريني

الليلةَ حينما أصل، سأفعل ما ينبغي أن أفعله،

أغلق مفاتيح الكهرباء لنيون الممر

فوناسة النوم

ثم اصطاد القمر الذي يتبعني

المنزلق بلزوجةٍ مُستفزَّة،

أمسكه من أنفه وألقيه في هواءٍ

سحيق.

الليلةَ حينما أصل،

سأنظِّف العتمةَ من كل ضوء،

أغمضُ عيني بشهوةٍ عارمة، وأهتف:

الآن

الآن أنيريني.

غيبوبة الأربعاء

جرحٌ مضمدٌ في الجبهة

وجه الذئب غامضاً في ليل الفناء الخلفي

الذئب

نفسه

وَ

......

......

......

وَ

ثمَّ خَدرٌ في شجرة التين

شعرٌ طويل

والهالة البنفسجية حول حلمةٍ تبزغ.

ألمٌ خفيف

رعبٌ سيبقى

فقط

كرطوبةٍ تمسُّ الجلد

في ضباب اليوم التالي.

3

جمال بارد

٢٠١٣

يرعبكَ وجه الميتِ معلقاً على شجرة التين.

الضوءُ يلمع على شجرة التين كأنه وجه الميت.

أحياناً

أحياناً

كشاحنةٍ معطلّة، أتمدد

ثقيلاً

صلباً

كتيماً

أتحسس بطني، أضلاعي،

أصابعي الناتئة كبراغي.

أحياناً

أكون كهواءٍ فقط،

لا معدة تتشنج

لا مفاصل تؤلم

لا رأسٌ يجعّد الوسادة،

وَ

حينئذٍ أخاف.

OBJECTS IN MIRROR

ما ظننتهُ غزالاً صغيراً يرعى بين القبور

كان قطاً بوبرٍ طويل

تربّيه الأرمنيةُ زوجةُ الحارس

ما حسبته بوابة نفقٍ

كان جسراً بارتفاع4 ، 6م

يعبره قطارُ حلب –ميدان أكبس

مشوّشاً من ارتجاج السيّارة

اقرأ:

الأجسامُ في المرآة أقربُ مما تبدو

الصليبُ الرخامُ في مقبرة الجنود

الإنكليز

يعكس بياضه على العشب

الشيطانُ

يغمرني في صورة آل باتشينو

أمعنُ في المرآة أكثر:

حيثُ ينبغي أن يكون وجهي

لا شيءَ واضحٌ

سوى

فجوةٍ معتمة

كأنها قعرُ العالم

النائمُ في الجوار

يئنُ

ونحنُ نجلسُ للكمبيوتر أو نضغطُ

أزرار الريموت كنترول

يتوهُ في صعوده مبنىً تتلاشى أدراجه

ونحن نقلي البيض ثمّ

نحتسي الشاي

تتقلقلُ أسنانهُ ويقلعها بإصبعه

فيما نحن نمدحُ المنزل الذي ننوي

شراؤه

ينمسخُ إلى ذئبٍ كريه يشمئزُ هو منهُ

ونحن نجربّ ممارسة الجنس

واقفين ومن الخلف

ظلٌّ خفيفٌ

سيعبرُ وجه النائم

ولن

ننتبه إليه

تخدير موضعي

سأراقب الجلد وهو ينكمش

الماء وهو ينزّ

العظم وهو يتفحم

جمرتان:

واحدة على رأس الأركيلة

الأخرى على مشط قدمي اليمنى العاري

بعد أن تُنْفَض

في صحن البورسلان

ظهيرة يوم الجمعة ،متكئاً أمام الكنبة،

كنت أقول لنفسي:

ما نفعله في حياتنا

نمدح مسكنات الألم وَ نتكيف مع الأعطال

كنت أقول :

طُوبى للسُعداء

طوبى للذين يتذكرون ميلاد زوجاتهم وأولادهم بدقة

للذين يمرحون منهمكين في إعداد سلطة ناعمة لأصدقائهم في حفلة شواء

للذين ينوون تغيير سياراتهم القديمة، منازلهم ،أجهزة موبايلهم

للذين يعرجون على أخطاء الماضي وكأنها لا تخصهم

للذين يناقشون شؤون العالم وكأنهم ملوك

أدفع الكنبة بظهري قليلا

أهمّ بالتقاط الجمرة الأخرى

لا،

لم يحدث شيءٌ لقدمي،

إنها ما تزال في جوار اليسرى

صحن البورسلان لم يتحمل

هو الذي انكسر .

جريمة في صالة البلياردو

يقصد اليائسُ

أن يرتكب جريمة لكنه

يكتفي بأن يحلق ذقنه

ويخرج

برتقالةٌ

تدحرجت في الممر

حتى ظهرت في منتصف المرآة

من حفرةٍ واسعة

تبدأ المدينة هُنا

«:هذا ما كان ينبغي أن يحدث»

متأملاً أقراص البروكسيمول،

يقول الأب

بعضُ الأطفال

رأوه

دمٌ

لزجٌ وحار

يمرّ بندبة اللايشمانيا على الخد اللامع

وينسكب

في صالة البليardo

الآن

كلّ شيء

سيتضاءل

الحفرة فحسب

تتسع

وتتسع لتنغلق

كأنها عين الأعمى.

كَحادثِ سير

في جوف السيّارة

ادعكُ شجرةَ ليمونٍ بين ساقيّ

حتى

أحس بنداوةٍ في سروالي الداخلي

أبي

يراني مقززاً

منكباً على ما سيجنيه من حقل الزيتون

يكرهُ الأعراس

ولا يذكّره شارع ُ بارون إلا

بأمراضنا

أجتازُ حلب كحادث سير

ثمّ

أشبهُ أبي

ما أخشاه:

ايميلي، تركته مفتوحاً في مقهى الانترنيت

ليلة الأمس

زهايمر

سبّني بأمي

يوم قلعت نابه الأوحد

يبقى في البيت

بينما أخواه يقصفان بين نساء الآخرين

وفي أسواق حلب

يدّون في مفكّرته

ما صرفه، وما يبزه الشقيقان.

لا يهمُّه مؤخراً شيء،

أعطالُ البيت

أخطاء العائلة

أمراض البنات ،البرد، الطعام، لا شيء أبداً

ما كان يفعله مؤخراً :يسألنا عن الثلج، أين يهطل؟ متى؟

وحين نسهو عنه

يلمُّ الأزهار المرسومة عن شراشف سريره.

جمالٌ بارد

الآن هنا

سترى واضحاً

كم تنفرُ من الآخرين

وأن ألمك

ثقبٌ ملتهب ٌفي منتصف الظهر

لكنَّه غيرُ مرئي.

الحياة جمالٌ بارد

أما العواطف فمفرزات ٌكئيبة

نتبادلها لنبدو سعداء

ما يثيرك الآن هنا

في شارعِ" يوحنا فم الذهب"

ما يثيرك

ليس سوى هذا الاسم

دون أن تحتاج

لأن تلعن درجة الحرارة

أو أن تتذكر أحداً

أو أن تلقي على غيرك

حكمةً غبية

لا

معنى

لها

على غفلة

*ربما تغرق، إنها 30 كم من البحر حتى

اليونان، ونحن الآن في الشتاء؟

–سنأخذ سترات منفوخة وقمصاناً داخلية بديلة ثم

أعرف السباحة ولست مثلك

*ربما يعضك كلب بوليسي؟

–بضعة أسابيع وتُشفى الجروح

*ربما يمسكك العساكر الأتراك

–نعم نعم وأن يرجعوننا

ويشمت فينا الجميع

*ربما تموت؟

....

....

رافعاً كتفيه للأعلى فارداً كفيه للأسفل

–ممكن.

وأشاح بوجهه نحو شجرة الأنغيدنيا

تهتز ببطء

وكأنها وجدت الآن على غفلة.

Big ass

لم تكن السيدة تفعل شيئاً سوى أنها كانت تمشي في ذلك الصباح
وتستعجل الطريق الترابي الصاعد قرب معمل الأسمنت ،ولم تكن تدري
أن لها مؤخرة مستقلة عن باقي جسدها، كبيرة، مكتنزة ،مدورة، ذات أوراك
فصيحة، تترك حركتها أقواساً وهمية في الهواء.

كنت أمعن النظر فيها حين التفت السائق قائلاً :
هناك تحت شجرة الزيتون ،وجدوا جثة طفل مفصولة الرأس.
لا يتجاوز الثالثة، ذبحوه تماماً.

لأكثر من شهر وكلما أجتاز الطريق قرب معمل الأسمنت حيث تقف
التركسات، تتبع عيني الأقواس الذهبية لمؤخرة مرت من هنا

قبل أن ترتكز متجمدة على النقطة التي أشار إليها السائق.

هذه الموسيقى مرة أخرى

يحول الشاي دون أن تستسلم

لنعاسٍ تسببه حبة هيبتادين تناولتها منذ ساعتين

لسببٍ ما، غير موجودةٍ الزوجةُ

بأنفسهم منشغلون الأطفال على غير عادتهم

يرسمون، وأصواتهم خافتةً تصل من الغرفة الأخرى

قرأتَ ما في بريدك الإلكتروني، والآن،

سماءُ حلب ليست معتمة كفايةً كي لا ترى أي شيء

حقلٌ بعيدٌ ينبت في الموسيقى

وشجرة بالكاد تهتز

ممتعٌ الجلوس في البيت

ما من ضيفٍ ثقيل

ما من رنّة موبايل

فقط، هذه الموسيقى القديمة

مرّة أخرى.

تخلّيت عن أوهامٍ كثيرة وأعتنق الآن ما سيحول إلى أوهامٍ أخرى سأتخلى عنها فيما بعد،

بدون خرافات شخصية، أمضي في قطار اللاذقية – حلب، سعيدٌ بما فيه الكفاية كي لا أنام أربع ساعات،

ألعب مع طفلي وطفلتي: «حجرة، ورقة، مقص»

وأتأمل الفتاة المتكورة على نفسها، النائمة في المقعد المجاور وأتخيلها في أوضاع جنسية ثم أعنف نفسي لكونها لا أكثر من لوليتا تهوى ألعاب الموبايل.

لست ملحمياً

لأصف العدم الذي ألجه الآن

لأقول« :لا صوت لي وأنا أصرخ فيه»

إنه نفقٌ فقط

نفقٌ يعبره القطار لثوانٍ،

وقد يتعطل فلا يعبره.

تعالي كثيراً، اذهبي قليلاً

بينما أنتظر إشارة المرور

جوارَ محطة الحجاز

سأرفع ياقة الجاكيت وأنظر إلى أعلى الفندق

ذاته

إلى عتمةٍ تهبط

على بلور الشرفة العاكس

في برد أواخر شباط.

كنتُ خارجاً من الحمام، دون أن أرتدي شيئاً،

أدندن: *pir were u hindik here

وكنتِ تغيّرين ملابسكِ، مطمئنةً،

لم ينلْ منكِ لا

هواجسُ المرض المزمن

لا الاستياءُ

من مسرحيةٍ شفناها في دار الأوبرا

قبل ساعة

جعلتكِ تنظرين إلى الخارجِ حيث المقهى والقاطرة القديمة،

وبدأت أخلع عنك بيجامةَ القطن

ثم مررت كفي على عانتك

وللأسفل،

كنتِ رطبةً تلك الليلة وجلدك ساخناً

وحين استدرتِ نحوي وهممتُ أفك سوتيانكِ

أغمضت ِعينيكِ فسقط ضوءٌ

على كتفكِ اليمنى

ضوء أصفرٌ

خافتٌ

ضوءٌ هادئٌ

لن يزول عن كتفك إلى

الأبد.

*تعالي كثيراً، اذهبي قليلاً :من أغنية شعبية كردية

الذوق الرفيع للسيدة «م»

أن تفتح الباب وتغلقه في السادسة صباحاً

:أي أنها في الطريق إلى حضانة الأطفال كمرافقة أوتوكار

أن تفتحه وتغلقه بعد ربع ساعة

:أي أنها عائدة بصحبة رجل،

ثم تُضاءُ العين السحرية وتُعتَم:

ليريا إن كان أحدٌ ما يتبعهما.

الزوج المشغول دائماً، والذي تُخمِّن بعد خمس سنوات من المعاشرة ما يفكر به، وتعرف القرفَ الذي سينطق به قبل أن يفتح فمه، متمدداً، أو لاهياً بموبايله،

يكفي لتعاشر السيدة« م»

رجالاً

غرباء.

الغريب سيرى ما لا يراه، سيدّعي« :أحبُّ رائحتكِ،

موسيقى جسمكِ،

هجرة الطيور في صوتكِ.»

وسيدّعي« :لا تجذبني إلا الممتلئات أمثالك»

وثم يبدي فتنته بالذوق الرفيع للسيدة« م»

:الشعر المميش، أقراط اللؤلؤ،

السوتيانات المنتقاة بعناية،

السرّة النظيفة، و

حرير العانة المصقولة.

ساعات طويلة ستمضي،

لا العشيقُ يهزُّ مؤخرته بعنف

لا السيدة ستلمُّ محارم الكلينكس

ولا الزوج سيعود على غفلة

جارهم، أنا، من سيكفُّ على صوت المنبه

أكفُّ عن تخيّل ما لا يحدث،

وأفزع من الكريب الذي يبدو أنني أُصبتُ به،

الكريب .اللعنة.

كم أكرهه.

المرآة في يد أجاثا كريستي

لا معنى

لأن تستيقظ أبكر من المنبه،

ثم تلاحظ أن حلب تختفي في ضبابٍ كثيف

هبط ليلة الأحد

أو

لأن يُشْغلكَ حديثُ الأمس عن فُقدان البراءة

كلَّ الوقت الذي يستغرقه الباص من الأشرفية

حتى ساحة سعد الله

لا معنى

لما قد تفعله

كأن تتجول في شارع القوتلي

تقتني أقراص الموسيقى، أفلام الـDVD، قداحة، تبغ كابتن بلاك،

ثم تقف على الناصية حيث كانت سينما فؤاد قائمة، تنحني لتشد رباط حذاءك

وتتخيل أجاثا كريستي على شرفة فندق بارون،

تمعن النظر في الضوء الذي يسقط على مرآتها

التي تبدو لوهلةٍ

رماديةً، قاحلةً،

موحشةً،

برعبٍ، تُنزل المرآة جانباً،

تُمَسِّد ما تحت عينها اليمنى

وتعاود كتابة روايةٍ لا معنى لها.

تزورُ العائلة، تُتَلفن مستفسراً عن المطر، الزيتون، الأحوال،

تتسوق مع زوجتك، تلاعبُ أطفالك، تتذمر، تلوم نفسك، تعاتب غيرك،

تباغتك من حينٍ إلى حين أصواتُ الذين تغربوا في ألمانيا، أربيل، لندن،

تحنُّ إلى زمنٍ تحسبه جميلاً وتقول :جِيلُنا.....

لن تفعل شيئاً.

ذلك

ما لا طائل منه.

أن تغط في نوم عميق ثماني ساعات، أو يصيبك الأرق

حتى تخرج في الليل لتنادي كملك قديم :أيها النوم، هل نسيتني؟

أن تفكر في الفواتير، وترتب النقود بل جدوى

أن تعطل أسبوعاً أو تعمل متواصلاً 16 ساعة في اليوم

أن تمارس الجنس للمرة الألف وتختمه ب :آآخ آآخ

أن تقيم الولائم لأصدقائك، تبادلهم النكات وكروت الفيزيت أو

تترك موبايلاً غائماً بمكالمات لم يُرد عليها

أن تصالح، وتفلسف غضبك، أو

تشتم، وتثأر لإهاناتٍ قديمة

أن تتبع أحداً ثم تلعنه، أو

تقود أحداً ثم تكرهه،

أن تتوهم برابرة على الباب،

أن تنتظر منقذاً، أو

تصدّق من يدّعي أنه يُنقذ

لا معنى لشيء

أبداً

اجلس في المكان الذي يخصك أيها السيد

ليكن ظهرك للضباب

الذي هبط كثيفاً في الليل

وتأمل الجدار

الجدار الذي لا شيء بعده

عينا الشيطان

وكان أبي يأتي في الخامسة أو بعدها بقليل.

نعرفه من دعسات حذائه الرياضي على الدرج، من رنته على الجرس بنغمة البيانو :تينغ ثم صمت للحظة ثم لينغ.

يُفتح الباب، وتأتي أمي من المطبخ تحني ظهرها لتسعل، تعطس أو ما شابه ذلك.

وكان يتحدث مبتدئاً دائماً ب :اليوم ... اليوم....

أخبرته أنني وقعت عن الكرسي :هل تعرف، الشيطان أوقعني، بابا، هل للشيطان قرون؟

وكان يتكلم بينما يخلع حذائه أو يبدّل ثيابه:

اليوم، كانت روسية طويلة بيضاء تمشي بقميص أصفر شفاف مكشوف الظهر وسائقو الأجرة يبطئون حين يحاذونها، والشباب يتبعونها على طول شارع القوتلي،

اليوم، عروس شابة خنقت زوجها أثناء النوم بإيشارب، والشرطة تجوب الشيخ مقصود لتمنع ما يمكن أن يكون قتال عشيرتين،

اليوم ،امرأتان حاولتا سلب صائغ في شارع النيل ثم خرجتا خائبتين تشقان ثيابهما عند فتحة الصدر لتتهماه بمحاولة اغتصاب.....

أمي تفتح باب الشرفة لتخرج روائح القلي، أنا وأخي الصغير نتبعه بين الغرف، يرفعني من تحت ذراعي للأعلى ويقول:

لست متأكداً أن للشيطان قرون، لكن عينيه جميلتان

ويقبلني على عيني، ثم يدغدغني تحت إبطي، وأنا أتلوى وأضحك وهو يضحك.

يقف في منتصف الصالون، يفتح فمه صارخاً :واع ع ع أنا الشيطان

ويدور بينما أنا متعلقة بعنقه

ثم رماني على الكنبة، وأخذ أخي الصغير ودغدغه مثلي ورماه بجانبي

وتمدد على الأرض، صنع من جسمه رافعة ًوقال :لنلعب هوباليس

يرفعني على قدمه للأعلى1،2، 3

ثم أخي1 ،2، 3

أيها السادة :ليقم أحدكم بإيقاف الموسيقى...

يبدو أن هذا لن ينتهي.

إسمي بول أوستر

لأسبوعٍ ظلَّ غارقاً في كتابٍ يقرأه، حتى قبل سفره لأسبابٍ لا تهمنا إلى دمشق .

وظلّ يلازم بطل القصة الذي نجا بأعجوبة من حادث، ويرقد منذ ثلاثة أيام في مشفى السلام بحالة غيبوبة .نزفٌ شديد، تهشم في العين اليسرى مع كسور في قاعدة الجمجمة الأمامية، لا يرى إبنته التي تراقبه من خلف الزجاج ولا أفراد عائلته المستاءة ولا أحد.

ما الذي تفعله الحياة بنا، تساءل متوقفاً عن القراءة،

وما الذي يمكن أن نفعله مع حياةٍ ضيقة يشغلها أصدقاء كسالى،

ونساء حمقاوات وعمل يتكرر إلى الأبد.

ليتحمل ساعات الرحلة الطويلة دونما إرهاق قام ب:

1 . الحجز في الترين سيت

2. شراء مكسرات وعلبة كوكا كولا

3 . اصطحاب الكتاب وسماعات الأذن المتصلة بالMP3

حين تحرّك القطار من محطة القدم، وكيلا يزعجه المفتش أو راكب آخر، تأكد من بطاقته مرة أخرى :عربة /2/ ، مقعد /15/ ثم وضع حقيبته بين قدميه، أرجع مسند الظهر للخلف وبدأ يقرأ« :إسمي بول أوستر، اخترعتني روائية أمريكية اسكندنافية الأصل، وأدعت أني روائي وأني زوجها.

أقطن نيويورك منذ سنوات، أفكر دائماً بالتخلي عن كل شيء.

أنا على يقين من أن الحياة لا حبكة فيها ولا تنتهي بجملة مسبوكة.

ما أسرده هنا حدث قبل الحرب، حين زرت فندق بارون لأرى الغرفة التي كانت تقيم فيها أجاثا كريستي حين رافقت زوجها عالم الآثار ماكس مالوان والذي مدحته مداعبة :إن حظي لسعيد .إنني متزوجة من رجل مهنته تنقيب الآثار .. كلما كبرت زاد إهتمامه بي.

في تلك الليلة أقلني سائقٌ غريب الأطوار كان نعساناً وتحولت إلى منبه أصطنع أتفه الأحاديث لأبقيه يقظاً، لكنني لم أستطع أن أرافقه مدى الحياة لأحيل دون تحوله إلى رجل مهووس، بل مريضٌ عقلياً، أبله يخرج في الصباح ليجمع أحجاراً يقذف بها القطارات في الليل.

أحجار كروية، مسننة، ملساء، خشنة، متطاولة.

لا أكثر من معتوه بجانب طريق.

إنه الآن قابع في الظلام، بومةٌ مع زجاجة أمبيت، يمسك حجراً بارداً له شكل رأس الذئب، وعند الساعة الرابعة والنصف ليلاً يوم الجمعة قبل حلب بكيلومترات، تحديداً عند محطة الأنصاري، وفي اللحظة التي يمرّ القطار السريع القادم من دمشق بجانبه ينتفض، ويرمي.

لا يصطدم رأس الذئب بحافة النافذة، أو يسقط قرب العجلات.

بل يمر كالسهم، إلى الأمام إلى العربة/2/ ، المقعد /15/ مخترقاً البلور، إلى الأمام إلى جمجمة الرجل الذي يسقط الكتاب من يده الآن.

ديرْ وجِّك

في سينما حلب

أصاب سهمٌ كعب أخيل فمات براد بيت

في سينما أوبرا

مارست العادة السرية

في حوض سباحة كانت تستلقي على طرفه مها الصالح

مرتدية مايوهاً أخضر في (حسناء وأربع عيون)

في سينما الحمراء

أصابتني قنينة كراش وقعت من البلكون في الرأس تماماً

بينما كان الأموات يقومون من القبور

متحولين إلى قتلة ٍيطاردهم ماشستي

في سينما القاهرة

لم أكن نذلاً لأتحرش بغادة الشمعة في سيارة أجرة

ولا غريبَ أطوار كي أتجرأ

وأقطف نجمتين ذهبيتين عن حلمتي زبيدة ثروت

وهي تركض في الحقول بقميص محلول الأزرار

كنت أفصفص بزر الشمس بشراهة

وأكمل المشهد المحذوف لإغراء وهي تعبر البحيرة دون ملابس وتقول لغسان مطر ببراءة قبل أن تخرج من الماء:

«فارس، دِيرْ وجَّك»

في سينما راميتا

سيقع الضوء على حياة ٍ بالأبيض والأسود

متروكة ًتتمدد في شارع بارون كجثة ٍ مقطوعة الرأس

ستنقطع بكرة الفيلم في المنتصف

فيخرج المشاهدون من الصالة

واللاجئون من الحرب

بمزاج ٍسيءٍ لن تبدله الجبال هنا في كوردستان

في سينما راميتا

سأستنشق سيجارة نعناع

وأرى نفسي مقاتلاً في فيلم هندي

شقيقاً لي

نتحارب

حتى

النهاية

أهالي أربيل

أهالي أربيل يُوصَمُون بالغباء في كوردستان (أربيلي دخل المقهى وطلب كأسي شاي ،"لكن الثانية ستبرد سيدي "قال النادل، " حسناً سأشرب الثانية أولاً)،

أهالي أربيل يحبون الفكاهة :يسمون موبايل النوكيا الدبدوب "مام جلال"، البيكابات العالية الدبل كمين "مرزيا" ، سيارات اللاندغروزير"مونيكا"،

أهالي أربيل يستيقظون باكراً ويلبسون سراويلهم الفضفاضة المكوية بعناية،

طريق إلى كبابخانة وطريق إلى جايخانة،

أهالي أربيل يتسلون بالنميمة والسيرانات ومشاهدة المسلسلات الكورية المدبلجة،

أهالي أربيل يصلوون الفرائض والسنن، ويتزوجون مرتين وثلاث وأربع،

فلديهم رواتبهم ومنازل يؤجرونها للغرباء،

أهالي أربيل يصبغون حتى شواربهم، ويتقنون المجاملات ولا أقل من "عزيزي سر جاو حياتم" ،

أهالي أربيل سعداء غالباً، فقط في الليل تعاودهم الكوابيس ،تعذبهم ذكريات أليمة.

(مام جلال: جلال الطالباني، مرزيا: المغنية مرزيا رزازي، مونيكا: مونيكا لوينسكي)

جمالٌ نائم في الجوار

وكان هناك لكن لم نكن نراه إلى أن أيقظته الحربُ فينا

جمالٌ ظلّ نائماً في الجوار

وثمّ ما إن كدنا نلمحه حتى فقدناه إلى الأبد.

أحيا في إسمي، يقول أخي الأصغر في تورية فظة ورثها من الأخوال،

أذكره بما كانت تقوله جدتي لأمي :لمَ الأسماء،

الأسماء فقط لكي نأوي بها إلى البيت.

أمي وحدها ستفهم الميت منا، والحي

ستظل هناك

وفيةً

لأيامنا

كبئرٍ عمياء

تبتلعُ كلَّ العظام التي تُرمى فيها.

حين ينامُ الشعراء، يستيقظُ الروائيون.

هذا الليلُ سيمتدُّ إلى الأبد .اقرأْ كلَّ شيء ولا تؤمنْ بشيء.

انظرْ خلفك .هناك أحدٌ ما .لا تنظرْ :إنه يُضْمِر شيئاً وراءَ ظهره.

مقص

الموظفة ذات الشعر الباذنجاني تحني رأسها على الموبايل فتتفرق الخصلات الطويلة على الكتفين والصدر، ويتبدى العنق الأبيض حيث شامة تكاد تختفي تحت ياقة القميص المتحركة،

أرى يدي اليمنى ترتعش،

بعين أنظر إلى الشامة تختفي وتظهر،

بعين شريرة

أنظر إلى مقص يلمع بين أوراق المستندات،

يلمع دون ضوء يسقط عليه.

أسنان بيضاء

يتصاعد بخار من الحوض بينما تضحك الممرضة ضحكة بدت فاجرة غير ملائمة وهي تلقي كلابات ساخنة أخرجتها للتو من المعقمة تحت ماء الحنفية" . لن تتأخر بالتأكيد .التاسعة تماماً " تجفف يديها، وتضبط مشبك شعرها وتهم بالمغادرة باكراً لتحضر كاتو لعيد ميلادها.

 ينحني الطبيب على الطاولة متصنعاً الجدية أمام المرضى القلائل الذين تمكنوا من المجيء لشدة الأشتباكات على الحاجز القريب من باب الحديقة، يتأمل بوستراً قديماً أمامه يتباهى فيه رجل بأسنانه البيضاء، ويقوم بالحركة الأبدية نفسها، يحك بسبابته اليسرى خلف أذنه اليسرى، ويهمس نحوها بصوت لا يسمعه سواهما أحد :كم كانت نمرة سوتيانك؟

الحي بالمصادفة

لن أموت بلدغة أفعى تحت شجرة رمان كما كنت أتوجس من قبل، تيقنت من ذلك بل أشتهيت حين دفعت الباب وأندفعت إلى الداخل ظناً أنه محل تباع فيه القفازات المطاطية.

قبل أن ألج الباب الذي أخذتني الصدفة إلى عتبته كنت أتمشى في دهوك المدينة التي تمتد على سفوح جبال متجاورة وأخرى متقابلة، مطمئنةً ليوم عادي آخر، لم يكن ثمة من شيء مريب، الصيارفة يستبدلون الدولار بالدنانير العراقية، الأطباء يشرعون تشغيل المكيفات الهوائية بالضغط على أجهزة التحكم، البازار يمور بالنساء والبضائع المستوردة من تركيا وإيران، مررت بمغنين على رصيف جايخانة، أحدهم كان يردد :دولة، دولة، دولة، لم أنتظر ولم أصغ ِكفاية لأفطن إن كان يمدح أو يذم، فيما الآخر الذي بنحوله والعينين النفاذتين يقع بين أياز يوسف وفرانز كافكا كان يتلوع بأمان نمان حاشداً الرموز القديمة ومشاهير الحروب وأسماء المدن والقلاع وأوصاف حبيبته في أغنيته التي يبدو أنها لن تنتهي.

القاعة شاسعة بسقف عال من التوتياء لتبدو أشبه بمستودع حكومي أو مكان سري يخص محفلاً ما، ضوء قليل يصل من النوافذ الجانبية العالية ويتبدد على أكوام الصناديق الخشبية المحكمة الإغلاق، ضجيج هائل كانت تصدره سيارة تنظيفات تضخ ماءاً قوياً عبر خرطوم واسع يوجهه كيفما أتفق شاب في العشرين سأكتشف حين أجاوره أنه أعمى.

نسيت أمر القفازات المطاطية وسهوت متخيلاً الباب ينغلق ورائي فأحجز هنا ثم تقدمت للأمام لأرى خلف إحدى البراميل الكبيرة رجلاً ممتلئاً عارياً أفترضت أنه الحارس المناوب يهز مؤخرته مضاجعاً من سأفترض أنها زوجته وربما مستخدمة أو متسولة أو عاهرة ما، لكن لا صوت يصدر عنها، تتأوه المرأة لكن لا صوت، يرتعش الرجل ولا صوت، كل شيء يضيع في الجلبة التي تحدثه سيارة التنظيفات في مملكة الصدى ليبقى ما تراه وحسب، دون أية رتوش، إذن يمكن الموت أيضاً بدون أية أوهام .

لقد نجوت من الحرب مما يعني أنني ميت حي أو الحي بالمصادفة الذي سيفعل أي شيء ليتأكد أنه ما زال حياً.

ساعة الذئب

حين ينعس الأطباء المناوبون، يستيقظ نور من غيبوبته، يتحسس الجزء المؤلم من رأسه، ويمرر أنامله بلطف فوق قطب الجراحة ويقترب من المرآة، " لا دم، كل شيء على ما يرام."

يخلع بدلة المرضى، ينتقي بنطال جينز أزرق وقميصاً صيفياً بنصف كم من شنطته الكاكية الملقاة تحت السرير كيفما كان، يسرح شعره إلى الوراء ويخرج.

وهو يجتازالممر الطويل كمتاهة، يفتح موبايله،

ويلقي نظرة على مكالمات لم يرد عليها كثيرة تعود لأربعة أيام وأكثر،

يكلم سامو في طرطوس، يضحك، يلقي نكتاً فاحشة لها رائحة الليل و، يضحك وتضحك السمراء سامو لضحكته وتصمت من أشواقها وتنصت إليه " لن أذهب بدونك"،" ثم تعالي، أي خرى آكله في تركيا أو كوردستان وحدي."

يتمشى، يراقب الضوء الذي يتوهج في الجهة الغربية من حرستا، لا بد أنه حفلة عرس كما كان الضابط يوهم جنوده، لكن الحرب هي الحرب ولا كتمان في الحروب،

يعود قبيل الفجر في ساعة الذئب، ساعة إنغمار بيرغمان، الساعة التي يولد فيها جميع البشر ويموتون، ولا ضرورة ليغافل الحراس فهم مشغولون بقصص مرعبة والتلفاز المشغول دائماً، يتمدد على سريره في غرفة العناية المشددة، يضع قناع الأوكسجين على أنفه وينام، فأمه آتية بصحبة شقيقه الأكبرمن حلب وستزوره عند ظهيرة اليوم التالي ولا بد أن يبدو كل شيء على ما يرام.

ظل نور يعاود جولاته الليلية مرات أخرى ويعود دائماً بخفة لا تُخفَ على أحد، في الليلة الخامسة كان بمزاج رائق منذ إستيقاظه، وكان المناوبون يشاهدون فيلماً قديماً بالأبيض والأسود ولا بد أنه كوميدي لأنهم كانوا يضحكون بين فينة وأخرى، فمرّ بجانبهم دون وجل ولم يلاحظوه، لكنه قبل نهاية الممر، توقف ولم يكمل لينزل، رأى باباً سرياً لم ينتبه إليه من قبل، ولجه وأفضى به إلى درج لولبي أفضى بدوره إلى سطح مشفى حرستا، " الله، كم السماء واسعة" ، توجه إلى الحافة، جلس على القرميد البارد مدلياً ساقيه للأسفل، ليدخن ويراقب النجوم، النجوم اللامعة، البطيئة، نجوم العائلة، نجوم الأصدقاء، نجمة سامو، كلها تومض برقة لتبدو مصابيح معلقة بخيوط رمادية لامرئية في سماء دمشق.

سكاكر

أدرك ما ستؤول إليه حالته من اللحظة التي زجوه في المقعد الخلفي للسيارة.

وحين تراجع أحدهم بعد خمس ساعات إلى بعد مترين ليصوره بالموبايل، أخذ ينهار كلية وبدأ يمتص لعابه ومعه ملوحة الدم، لحظتها تذكر تلك النكهة الغريبة المدهشة التي كانت تخلفها سكاكر" ناشد أخوان "التي كان يجلبها والده من حلب، كان الملثمون يتخذون هيئات هلامية وطيور خفيفة تتهادى في الأفق الغربي لحقل الرمي بينما طفل بين السابعة والتاسعة يمسك واحدة من تلك السكاكر بين أصابع يديه، يقرأ المكتوب عليها بخط أخضر وربما أحمر، يشد جناحي الغلاف المثلثين فتدور القطعة في حركة سحرية، ينزع عنها السلوفان اللامع فيبدو بياض السكر الذي لا يلبث أن يذوب في الفم تاركاً قلبه الأخضر من حشوة جوز الهند فيمضغه برفق بين أسنانه الخلفية لينتهي إلى نقط لا نهائية من الحلاوة تحت لسانه، على باطن خده، ومغطية قبة حنكه عميقاً عميقاً حتى جوفه مختلطة بدمه الذي يمتصه الآن بينما الملثمون يصورونه جثة لا حراك فيها.

ما أن تلمسهُ

تتنقل موظفة الحساب الجاري بخفة بين العربية والكوردية، بين طاولة الكمبيوتر حيث جداول نظام الأوفيس، والكاونتر حيث الزبائن والشيكات والتواقيع والنظرة التي تعبر قاعة البنك إلى بلور الواجهة إلى جسر شورش إلى جبل زافا المحيط بدهوك من جهة الغرب.

منذ الصباح وهي تحاول إخراج قطعة بقدونس عالقة تحت حشوة سنها بطرف اللسان لكنها تخيب كل مرة، هذا الأمر كان يشتت وجودها مما يضفي على وجهها جمال الغائب جزئياً، الجمال العصي، الجمال الذي يتبدد ما إن تلمسه، إنها تبدو لمن يلاحقها كنقطة من الزئبق كلما حاولت الإمساك بها، تتفتت إلى نقط أشد شراسة وأكثر عناداً.

تأتي موظفة أخرى من الغرفة المواجهة للتواليت، شابة ترتدي خفافة أديداس وجينزاً أسود تحمل كأس شاي في يدها، وما إن تلتف حول العمود الرخامي يلتفت إليها ثلاثة رجال أعمال ببدلات سوداء وأحذية لامعة، يقوم الأكثر أناقة بينهم حالما ينادي موظف الصندوق :زيرك، زيرك.

يرتب الصراف الذي كان طيلة الوقت وحيداً يلعب بموبايله رزمة نقود، يرفع ورقة من فئة المئة دولار للأعلى، يدقق فيغبش المشهد حيث صورة الرئيس فرانكلين فيما تتوضح في الخلف حيث صدر موظفة الحساب الجاري وهي تضحك مع رجل مسن من أهل بغداد وتلاطفه :

متى تزورون بيروت؟

حبة قمح

"ولكن كيف سأقنع الدجاج بأني لست حبة قمح "... قالها وبدأ كل من في الخيمة يضحك على الفور، ثم لقّم نكتة أخرى، فأنتبهتُ حينئذٍ إلى براعته في إلقاء النكات، ثم عدت وأنشغلت بأوراق اللعب لأخمّن مع من ختيار الكُبّة.

كنا كما في أي يوم، نقضي أكثر من ثماني ساعات في فترة ما بعد التدريب، مرتدين الشورتات، نفترش أرض الخيمة على بطانيات عسكرية، ونبدأ لعبة التريكس.

مال حسينو نحو الخلف معلناً" لن أربح وحق القرآن "ثم أردف بالكردية مازحاً" :من ده ڤينو، ما دامت فخذاه أمامي سأخسر إلى الأبد."

حين حل بهاء في سريتنا، أتخذت الأمور مجرى آخر، فبهاء القادم من دمشق بخصره النحيل وعيونه المائلة للإخضرار وجسمه الأبيض الخالي سوى من زغب أشقر خفيف، قال عنه حسينو أول ما رآه :

العمى، سلاف فواخرجي بس صبي.

تقرب إليه الميسورون من أفراد السرية الذي كانوا ينزلون كل خميس إلى مصياف ويمتطون الدراجات النارية خلف قوادين يصطادونهم من الكراج، فيما رأى الدراويش في رؤيته خلاصاً إلهياً من القرف الذي

يستعيدونه كلما أعتلوا الحمارة المقطووعة الذيل التي ترعى شاردة جنوب الكتيبة.

محمود الذي كان يبيع الكولا والسردين والمرتديلا والدخان إضافة لأفلام البورنو وحبوب الفياغرا والحشيش، كان يخلي له المقعد الصغير بجانبه في كشك التوتياء الذي يديره أما كمال، الرقيب فقال:

رجعني لأيام جامعة حلب، حين أصافح يده، ينتصب معي.

صوته فحسب كان صوت الرجل، بل الرجل فيه صوته، فحين يصمت يهيمن جماله على من حوله، أما حين يتكلم فيبقى جماله، لا يتبدد، لكن يتخذ هيئة دروع من الفولاذ تحميه، تنفر الآخرين وتجذبهم في آن معاً، كان داهية، وحين كنا نلعب الورق كان يحسب كل الأوراق التي نزلت، والباقية في اليد.

قلائل عرفوا أنه كان وحيداً قدر ما كان جميلاً، وهو كان يعرف كم هو جميل ولكنه يجهل كم هو وحيد، وفي فجر يوم الأحد قبيل عيد الأضحى وبينما كانت مصياف تختفي في عتمة ترق شيئاً فشيئاً، لم يكن قد نام بعد، حلق ذقنه الخفيفة، كالعادة على ضوء لمبة صغيرة، ارتدى ملابسه إستعداداً لنوبة الحراسة التالية، جثا على ركبة ونصف ، شدّ رباط بوطه، ثم تناول بارودته، لكنه بدل أن يرفعها إلى الكتف، أسند أخمصها على الأرض، وضع فوهتها المعدنية في فمه عامودياً على قبة الحنك، وفعل ما يمكن لأي وحيدٍ أن يفعله.

بحيرات

الحياة ليست الآن وهنا

ولا هناك

ولا في مكانٍ آخر

الحياة ليست في أي مكان

الحياة أنكَ ورثتَ خوفاً مزمناً عن أبيكَ

وستورثه لأبناءكَ ليورثوه لأبنائهم،

لن تهزمه ولن يهزمك،

ولكنه سيوصلك

ليأسٍ أبيض تراقبه بحنو كورم ٍ صغير ينمو على جذعكَ،

لألم ٍمضمر لا بُدّ منه يظهر كبحيرات ٍ

تتقرح ُ تحت لسانكَ

وفي سقف الحلق

وعلى باطن الشفتين.

قناع الأب

روزماري أعطيني قناعَ الأب، لتنزعهُ

أنت عني فيما بعد يا غابرييل

ناوليني أمي قناعَ الشيطان

لأخدع أبي حين يتأمل وجهَ الله

كن حذراً يا بني فيما تتابع أفلام الكرتون

كي لا تجفل حينما أطل من التلفاز،

أما أنتِ يا إبنتي

انتبهي جيداً وأنت ِتقطعين الدراق إلى شرائح،

فسكاكين المطبخ جديدة.

و حين تحكّين رقبتكِ في حركة مللٍ، ويتمطّى جسمكِ في القميص ذي الأكمام القصيرة، تلتمعُ إبطكِ الحليقةُ وتومئ إلى جدلٍ هو الآخر سيدوم طويلاً،

فأربيل ليست بيزنطة،

ونحن لسنا فلاسفة.

أفاعي سوداء في إكواريوم

أزهار طافية في ماء عكر في مجلى معطل

جنود ملثمون يعبرون حقل زيتون في الفجر

إمرأة ٌ تخلع بنطالها الجينز أمام مرآة ٍ فيُرى على فخذها وشم ُ

أفعى تلتف على ساق نبتة

دائماً ثمة شيءٌ يوحي بشيءٍ ما

ورُبَّما لا

على أوتوستراد دهوك – أربيل

أرى بقرة ًتمشي في الإتجاه المعاكس للسير

وأتذكر حلب

حين تؤلمني عنقي من رأسي المائل نحو سرب ٍمن الإوز

في الطريق إلى البيت

ألمح عمالاً وفضوليين يتحلقون حول رافعة

عملاقة تنصب منارة معدنية

لمسجدٍ بني على عجل في الطابق العلوي لسوبر ماركيت

الفيسبووك حوض أسماك زينة أتأمله

قبل أن أستسلم للكوابيس

لم أر أخي يدفن في بئر إبن الآوى

)يا له من إسم لوادٍ ثم لمقبرة(

لكن لا أخشى عليه

فأبي هناك وأيضاً جدي الذي لم نراه أبداً

وأبناء عمومة من هذه العائلة التي

يموت ذكورها باكراً

أعرف أنني أحلم وأنا أحلم ،

أنام بينما أفتُّ ورق اللعب أو حين أستقل سيارةً

بعد خمس دقائق

أحدهم يفتح صفحتي على الفيسبووك

أحدهم يستبدل الأسماك في الإكواريوم بأفاعٍ سوداء

أقولها ثانيةً :أثناء النوم لا نغدو سوى فلاسفةٍ سيئيين

لا ألم مطلقاً

لا ألم

أؤكدُ مرةً أخرى

فقط أسمعُ خشخشة َرصاصةٍ

لامعة نحاسية صلبة

تهبط ُ عميقاً وببطء

في جمجمةِ أخي الذي قُتِلَ في الحرب

منذ شهرين

جميلة نائمة

"الكلب إما أن يجري، وإما أن ينبح، لا يستطيع أن يفعل الأمرين معاً "

يقول أبي، فيومئ أخي بإصبعه نحوي ساخراً، فأرميه بالمخدة وأقول :

"مثلك يا حيوان"، يضحك ويقول نكاية في أبي:

"إذن، يستطيع أن يهزّ ذيله أيضاً."

أستدعي الشيطان وأسميّه :دمية الوحيدين،

أستفزّه:

يا سيّد، يا بارع، خُلِقْتَ للحظةٍ كهذه، هيا نلعب:

أحدّق في عينيه وأقامرُ بحياتي،

يحدّقُ في عيني،

ويقامرُ بوجوده، بولوجه جلدي،

بهبوبه في رأسي

كريحٍ في حقلِ شعير.

ما تعلّمتهُ من فيلمٍ أجنبي:

أن ألفظ" ويسكي"

لأبدو مبتسماً أمام الكاميرا

أشاهد جوني ديب في مشهد غامض

أتركه في المنتصف

وأنشغل بأغنية قديمة لأمّ كلثوم

حياتي هشّة لدرجة أن أتساءل:

ما الذي تفعله الأغاني بنا.

كنتُ أقرأ" الجميلات النائمات "حين أستقليتُ باص البولمان إلى حماه لأخدم في الجيش، قلت هي أيامٌ معدودات أقضيها لأجدَ نفسي بعد سنتين بئراً جافة، سطّحت الخوذةُ تلافيف الدماغ حتى غدت ملساء لكن كتيمة كمعدنها المصقول، ثم عملتُ وتزوجت، عملتُ وأنجبت، عملتُ حتى أتت الحرب، مضى أكثر من عشر سنوات لأفهم ما خاطبني به أبي ليلة الزفاف:

"الآن وصاعداً، لم تعد بحاجة إلى الأعداء."

وظللتُ أقرأ لأخفي الحرب خلف الحدقة، وتحت الجلد،

كنتُ أظنُّ أن بمقدورنا أن نروي الحكاية نفسها حتى قرأت الكولومبي ذا الشوارب يروي الحكاية نفسها فخاب ظني وقلت:

هذا الرجل سيخرفُ يوماً ما، وسترونه يستجدي العذراوات في بيوت الدعارة لتنزل إحداهن، وتدلّه على الطريق.

فعلتْ الحربُ ما كنتُ أعقد العزم عليه

ولم أجرؤ

رَكَنَتْ هذه القذارة التي أسميها حياتي

خلف المنزل الذي أقيم فيه الآن

كسيّارة خردة لا تخصُّ أحداً،

أتأملها تحت الثلج الذي لم ينقطع منذ يومين

ثم بما تبقى لدي من الرقة

أستديرُ نحو اللابتوب

نحو جميلةٍ ونائمة

على الفيسبووك.

وأنتِ تضحكين

الموت يأتي من جهة موصل.

التركسات اللعينة تعمل، تعنّ منذ السادسة صباحاً .

في كراج السيارات يصبح العالم أكثر خفة وتصبح قصص الرعب مدعاة للتسلية.

سيحلف سائقٌ من زاخو أنه خُطِفَ في موصل، وألقته العناية الإلهية تحت أقدام جنود أمريكيين كانوا يصيحون :تيروريست، حين وجدوه معصوب العينين، وبحزام ناسف على خصره، فيما علق راكب من شيخان :أخي حسن شيراتون قضى أسبوعاً كاملاً جريحاً في نفق تحت فندق شيراتون ليخرج لا شهيداً لا بطلاً، بل بعاهة تلتصق به كشيطان قرين.

أمشي في المدن، وأقطع ريف كوردستان في سيارات الأصدقاء، وأحياناً بطريقة :خذني معك.

في دهوك سأراهن على ما سأملكه.

على حاجز كالاك قبل أربيل، سأتنحى جانباً حين يأتي ذِكْرُ حلب، ومثل الشعراء الغنائين سأتخيل حلب جميلة كإمرأة تستحم، عصية وماكرة

كإمرأة تتعرى أمام رجل يبكي في الظلام، أو جميلة وعصية كممثلة ماكرة تستحم أمام أعمى يبكي وتترك في الفيلم حسرة طويلة وندماً يؤول إلى عتمة، أتبول خلف هيكل سيارة وأعود غنائياً وأرتجل :يا مدينة اللاأحد، تحملناك، لعنا الرب في السر ثم طلبنا الغفران، لا طاقة لنا بك.

عند بحيرة دوكان سأبقى على الضفة لأكون شاهداً، سأفتح كاميرا الموبايل وأصور العائلة، سيلوحون لي وهم يستقلون القارب الصغير، كفيلسوف مريض سأسخر من المشهد برمته، كأنهم أستقلوا القارب كي يلوحوا لي وحسب، أو كأنني بقيت على الضفة كي أرى تلويحتهم وحسب.

بعد ساعات سأرى أن حرارتي باتت طبيعية، تتوقف السيارة على مشارف السليمانية تحت ظل كينا ضخمة، تجلس روزماري في باكاج السيارة المفتوح بشكل معكوس ليجف قميصها من الكولا الذي سكبه الأطفال على بعضهم، وتغني، وتتمهل حين تصل:

"سيأتي اليوم الذي تنظرين فيه إلى الوراء وأنتِ تضحكين"

فأغمزها، وأرفع كفي في الهواء

مضمومة

بإبهام مرفوع

أومئُ

بعلامة إعجاب.

يا خليل يا فتى

أحببت رواية ما ثم بدأت أتصرف مثل بطلها الشاب الذي لا شيء في حياته سوى قراءة الروايات أثناء الحرب.

في كراج السيارات بأربيل، كان مدير المكتب يعلك علكة كبيرة ينفخها بشكل بالونات مطاطية ثم يفجرها برشاقة فيما العمال جالسون بتثاقل على الكنبات يرتشفون الشاي ويحملقون في المشاهد الأخيرة من فيلم لدينزل واشنطن تحاصر فيه الشرطة مشفى اختطف فيه السيد جون رهائن لينقذ ابنه المريض بالقلب

يا خليل

يا فتى

فلتكن بندقيتك على كتفك

الحرب لا ترحم

انتظرنا أكثر من ساعتين

وما فعلناه كنا نخمن جنسيات الذين يمرون قبالتنا نحو ساحة نيشتيمان:

البنغال الذي يقطعون الحدود مُهَرّبين ليعملوا عمال نظافة، اللبنانيون المغامرون في عينكاوا، الأتراك الذين أينما ذهبت، البغداديون، الإيرانيون،

الأكراد السوريون الذين حسبوا أنهم يدخلون الأرض المقدسة لاجئين ثم اكتشفوا أنهم ليس سوى غرباء والغرباء ليسوا سوى شياطين.

"لا تثق بالسائقين"، قالها الطبيب الذاهب إلى باتيفا، قاطعته ساخراً " : وبالشراميط و السياسيين"، لكنه أضاف مغمغماً كأنه لم يسمعني وكأنما يقتبس كلاماً مترجماً من مكان آخر" ثق بالكلام القليل الذي يتركه المنتحرون عابراً في فندق ما"

في طريق دهوك

بكى أحدنا في التاكسي

بدون سبب

حين ذُكِرَت حلب

باتيفا

باتيفا

يا خليل

يا فتى

العن الحكومة

واذهب إلى الجبال

ولتكن بندقيتك على كتفك

لا أحد يرحم

حليبٌ بارد

بعد قذيفة الهاون

أصبح الحلاقُ أحمد بعين ٍواحدة

عبدو الذي كان يجلس أمام دكان والده خطيباً أبدياً لنسرين

ولم يعد نزار الكهربجي يجيب دعوات الجيران لإصلاح الأعطال

لأنه مشغول بأمعاءه عبثاً يرفعها لكنها تهبط منزلقة

من بين أصابعه

زوجتي في أربيل

ولخطأ في التوقيت، نجوتُ

ووحيداً الآن في هذه البلدة

أشاهدُ الحربُ على التلفاز

أقول :لا تفكر بمن تحب وأنت خائف"

حين ألاحظ بين لحظة و أخرى

أن ثمة أحدٌ ما

يطوفُ في البيت

يصعد وينزل الدرج

يعبر الصالة،

والدهليز بين الحمام والتواليت

أرى إمرأة تجرّ عموداً من الستانلس ستيل عُلّقَ به سيروم

تتحرك الإبرة وترضّ الوريد

تاركةً خلفها في الليل

خيطاً متعرجاً من الدم

على البلاط الأبيض

ليس الألم ما أقصد

بل الأبيض أو

الخوف الذي يسكب حليباً بارداً على هذه الأرض

خلف التلال :الأعداء

خلف البساتين، الكلاب

خلف البوابة سكين تلمع

خلف الشجرة أفعى تقفز على الساق

خلف الباب الأشباح

وهنا حيث أنت ستخاف

صوتَ الماء الذي تشربه حين يقرقر في بلعومك

هنا ستخافُ جسدَكَ الذي ما عدتَ تخاف عليه

الآنسة كيت

ترسل لي الآنسة كيت إيميلها

لأرسل لها إيميلي

كيت من ساحل العاج قُتلتْ والدتها مع

والدها الدكتور إيسوفو أيوبا الرجل المهم على أيدي المتمردين

بدمٍ بارد

وتعيش الآن في مخيم للاجئين في تامباكوندا – السنغال

يرعاها قسٌّ طيب وتستأذنه

لتراسلني على كمبيوتره الخاص حين يكون في كاتدرائية ماري رين

ولا تطلب سوى أن أسترد مال أبيها

من بنكٍ روسي

وأدفع لها ما يكفي شراء تذكرة الطائرة

لتلحق بي

وتقضي بقية أيامها برفقتي

لا يهمها أنني متزوج ولا فارق السنّ

يرى صديق لي بأنها ستورطني في

أمرٍ ما

وربما وراءها عصابةٌ ما

لا آبه لما يقوله صديقي وما يمكن

أن تكيد له كيت

ما أنا على يقين منه أنها تخاطب

الرجل الخطأ

لكنني سعيدٌ بذلك

أهمل كل شيء وأرسل لها:

عزيزتي كيت

إنتظري (ريثما تهدأ الحرب في حلب أو أجدد أوراق الإقامة هنا،

هذا ما أحذفه لاحقاً)

إنتظري ما هي إلا أيام

وأبحر بسفني من كوردستان

لأسترد أموالك من بلاد الروس

سأضع خوذتي تحت قدميك ِ

وأخاطبكِ في حضرة الأشداء

عزيزتي هيلين

أرض أفريقيا لا تليق بكِ

سنستقر حيثما تريدين

الندم في الصباح

حياتي ترجمة سيئة للحياة، أقلّد الشعراء الغنائيين

وأضيف وأنا أحك بظفري مكان الباسورد في بطاقة الموبايل:

أمنحكم ما منحتني الحياة

أمنحكم اليأس

الشاشة في صدر المول

كانت تعرض كليبات صاخبة يرقص فيها

شباب فوق جبال كوردستان بملابس فلكلورية، وأخرى

يذرف فيها المغني الدموع من أجل حبيبة مفترضة

واضحٌ من ملامحها أنها عارضة أزياء

وأجنبية

زيزو الصغيرة لم تتعرف عليّ أسفل السلم الكهربائي

كانت مشغولة بالزبائن تناولهم

بطاقات إشتراك في اليانصيب الذي سيجري في التاسعة

تركت غسان هنا البارحة

ومصادفته سيعني أن الأحد

هو السبت أيضاً

وأنه سيبقى في كافيه الطابق الثاني

منتظراً حركة من النادلة

التي ترتدي الجينز الأسود

وتقيم لاجئة في ضاحية كاسنزان

في الطريق إلى دائرة الإقامة

أتأمل بوستراً عملاقاً لراغب علامة مطلاً على

أربيل مرتدياً بدلة أنيقة

وخلفه أضواء مدينةٍ ما

ينظر نظرة من يملك كل شيء

ويبتسم إبتسامة من يعرف أنه

محبوب

أمعائي تزعجني من عشاء متأخر

بعد منتصف الليل

قبعتي الرياضية غامقة لكثرة ما تعرقت

يبدو أنه لا شيء يؤلم في الصباح

أكثر

من

الندم في الصباح

كدت أصدق انني عالق في حلم

أصرخ دون أن يخرج صوت مني

أعرف أنني أحلم

لكن لا أقدر على الإستيقاظ

بنك في أربيل

يصف لي صديقي على الموبايل الدمار الذي لحق بمنزلي في الحرب بينما أكرر ok معلقاً بصوت مهذب وأراقب ذات الأقراط تستدين قرضاً لتشتري منزلاً لها في أربيل

الفتاة ذات الأقراط الطويلة تبدو هجينة من أب كردي وأم أوربية

تطول كلما قامت عن المقعد الجلدي

ثم أنها لا تبالي بأن تشد للأسفل قميصها الذي ينحسر عن ظهرها العاري

تتمشى ممسكة برسن كلبها الأبيض

وتترك بجانبي ميداليتها التي على شكل دب

فيما مضى كان ثمة دب يحيا على المعلبات ويعمل في سيرك

أفسد عليه صيادٌ وغزالٌ بقرنٍ مكسور حياته ليبدو شرساً فتصطاده البلدية وتحمله في طائرة هليوكوبتر وتودعه في الغابة، لن أكمل الفيلم الكرتون أو الحكاية كيلا أؤذي نفسي، لكنه يستيقظ صباحاً، يقف على الجرف وينادي:

منزلي ي ي ي ي

في الطريق أشغل نفسي بالحرب التي تعلّمُ

الحكمة المبكرة والندوبَ التي تنمو في المرآة

: سنندم

وستنشب حروب سرية فيما بين الأب والإبن، بين الأم والأخوات

وسيحتشد ليل العائلة بالأحقاد

وسنعرف عندئذ ماذا يعني أن تستيقظ

وفمكَ ممتلئٌ بالرماد

أستعيدُ يأسَ هوميروس

وأقول :

لا بُدّ من آلهةٍ تهبط من الأوليمب

كنت في البنك لشيء آخر

ولم يزعجني أن تعطلت السيارة أو الحر بل هذا الطبيب القادم من دمشق،

" كوردستان جميلة "يردد ويقول لغواً مبتذلاً عن الروح الكردية والعشائر (سأعرف لاحقا أنه يقيم في مخيم روفيا ووعده أحدهم ببيت وعقد عمل) ثم يلتفت للذي خلفه " :عليك بالحمية والرياضة والتخلي عن وجبة العشاء"،" العشاء، العشاء مقدس هنا "أغمغم بحنق، " فترة العشاء هنا أشبه بحظر التجول، كلهم حول المائدة يتناولون الرز واللحم " لكنه يسهب دون أن يسمعني

يتمدد الكومجي الذي يدعونه وايرمان أسفل السيارة

وأتبين ما يقوله بصعوبة

يعرف السائق أننا سنتأخر

الجبال لا تفعل شيئا سوى أنها تدل على أن دهوك باتت قريبة

زيتٌ بنيٌ عكرٌ ينزُّ على الأرض،

قربنا على الأوتوستراد

ناقلات نفط تركية تعبر جسراً معدنياً طويلاً

وتصدر قعقعة تغطي على كل شيء

جميلة في البروشورات

"ذات يوم ستتبح الطيور في كوردستان "علّقتُ مستهزئاً

حين عبر بجوارنا طيرٌ يغرّد بغرابة

في حديقة سامي عبد الرحمن

أفكّر في أخي الذي قُتِل في الحرب

منذ عشرة أيام

"ما يزال في مشفى حرستا،

حفروا قبره، وخيمة العزاء أقيمت

على البيدر، لكن

لا طريق من الشام إلى حلب"

قالت كيبار

لا حاجة للتخمين من أنها كانت

تبكي على الهاتف

الآن لا أخشى شيئاً

كرهت إسمي الذي يحمله

سياسيون ومرتزقة

وقصصت شعري الطويل حتى أكون لا أحد

وقع أسوأ ما كنت أتوقعه:

حياتنا أصبحت تُبثُّ مباشرةً على التلفاز

سوى ذلك، أربيل

لا تُحتمل، جميلة في البروشورات

ريزان أمسك علبة سبراي ويطارد

صرصاراً

يفرَ على حافة باب التواليت

بروين

شاردة

تحضّر صحون الفواكه

وتحلم بمنزلٍ في نيوزلنده

رأسٌ طافٍ

عند جسر الحسينية

ستبدو الجبال في البعيد قطيعَ

ديناصوراتٍ نافقة

الماء قليلٌ قليلٌ

المجرى ديكورٌ محتمل لمجدٍ

قديم من شتاءٍ مضى

يتوقف سائقُ سيارة هونداي فجأةً

وقبل أن يهرول ليتبول جانب شاحنة تركية

يصدمه بيكاب آتٍ من جهة دهوك

ويلقيه في السماء

جنديٌ يتمشى بتثاقل أمام محرس

الجسر

يظهر ويختفي تحت شجرة كينا

بارودته الكلاشينكوف

على كرسي بلاستيكي حيث كان

يجلس منذ قليل

الجندي لا يلتفت

إلى الحادث

الذي

لم يقع

المحلات مغلقة تغرق في ضجرٍ يكتنفه قلقٌ يكتنفه حر لا يطاق

وما

من بشر

سوى رجل يسبح أسفل الجسر

ربما

هو رأسٌ طافٍ

وما من جسد تحت الماء

ليس الحظ ما تفكر فيه أو عشبة كلكامش

أو سيارة تقلك إلى أربيل

بل هاجس غريب

ما يزال يراودك منذ اسبوع:

لماذا تنتحر النساء في كوردستان ؟

فليكن إسمها: فيرونيكا

في حانةٍ يرتادها المثليون ببرلين، كان جالساً إلى البار على كرسي عالٍ لا مسند له حين إقتربت منه فيرونيكا، وحطّت يدها على ركبته.

(اقتربت من الرجل الخطأ، وقامت بالحركة الخطأ :اليد على الركبة)

أعرفه شخصياً،

كان يابانياً، وحين كان يلطّش عليه الأطفال ونحن نمشي في الأشرفية : صيني صيني، كان يرد :أنت صيني،

كان لمّاحاً وذا ذاكرة حديدية، أذكر في السريان القديمة حين شغّل هوزان (night divides the day) ولم تمض سوى ثوان حتى قام من مقعده وقال كأنما يوحى له :جورج وينستون.

تزوج أخوه من إمرأة كورية وتركه وحيداً مع أبيه الوحيد الذي يعاني من إكتئاب مزمن ونوبات بكاء بدون سبب.

نظيفٌ ودقيقٌ في مواعيده ومفرداته، وككل اليابانيين، يطهي السوتشي ، ويتسلى بالأوريغامي ويصنع البجع من الورق.

قضى معنا أربع سنوات، كنا نتفاهم بقليل من عربيته وقليل من إنكليزيتي، وسباس وحزدكم من الكوردية، ليعود إلينا في شتاء لاحق وليعترف بينما نحن جالسون أمام قلعة حلب:

أنا رجل لكن لي قلب إمرأة.

أما فيرونيكا فقد ألتقيتها في دار الكتب الوطنية حين كنت أقرأ سركون بولص بنهم، جلست بجانبي وحطت يدها على ركبتي،

فيرونيكا ابنةُ المعصية التي لا تكبر، كانت ساحرة من نوع ما،

وحسب ما يذكر سركون كانت لها أريكة،

أريكة عادية

لكنها

بطقطقة واحدة

تنفتح

و

تنقلب إلى سرير.

الحروب

في بلدة قصروك في كوردستان

يربّي جاري عبد الستار القطط والأفاعي والنسور معاً في بيته،

مقتنعاً بأنه على الإنسان أن يجعل الأعداءَ

أصدقاء، لا أصدقائهُ أعداء

أبناؤه تعلموا ألا يخافوا

الكبير الفتى صار يستدعونه لإصطياد الأفاعي من الحقول والمنازل،

أبنتاه،

الصغير الذي لم يبلغ الثانية بعد يلاعب إحداها،

يمسكها من الذيل ويتركها تلتف حول رقبته وتنسل تحت قميصه،

هي ليست بلاستيك ،

بل سوداء طويلة

وأخرى زيتونية تدعى شاهمار أي

ملك الأفاعي

بحوزته قطط كثيرة، نسران أطلق عليهما" :آشتي وراستي "قالت

روزميري أن عينيهما بيضاوان في الظلام، واحدى وثلاثون أفعى

يطعمها اللحم والسكر والماء، يغير لها

التراب مرتين في الشهر،

ومن جلدها الذي تبدله يصنع عقاقير

لمرضى القرحة والكولون

لم يؤذ ِأفعى طوال عمره

و"حين أسمع أن سيارة دعست أفعى "يقول

"أحسب أن إنساناً قد قُتل"

في الليل، حين تنام حيواناته في

الحديقة الأمامية،

النسور على الشجر

الأفاعي في الصندوق

القطط تحت سيارة الكيا السوداء،

يدخل غرفته

وينظم مدائح للرسول سيغنيها في

المولد السنوي لأتباع عبد القادر الجيلاني

يبدأ النقر على الدف

ويتذكر الحروب

الحروب

الحروب التي فرّ منها صغيراً

برفقة عائلته

الحروب التي خدم فيها مجنداً في إيران

الحروب في الجبال بجانب البيشمركة ضد حكومة بغداد

الحروب مع الأخوة

الحروب

الطويلة

القذرة

البعيدة

الحروب التي كأنها تحدث الآن

سنأتي أيها الموت

في دهوك

دلني آزاد على مهرّبٍ

قابلته بعد جسر شورش

في شارع نوهدرا الذي يسكنه المسيحيون

بينما نتمشى بين مثلجات زاغروس وهيفي للصرافة

يصفر ويغني:

نارين نارين

نارين أنا ضيفك في الليل

آزاد معلق بين موصل ولندن

بين شارع النجفي حيث قضى ثلاثين عاماً في منزل تركه للأشباح رغماً عنه

وبين نورث غرينتش

حيث نارين ترقد تحت شرشف أخضر غامق

وتتصفح الفيسبوك

أشير إلى ماغريت وأقول:

أنظر هناك

فوق جبل زافا

ثمة صخرة هائلة تطير، و فوقها قلعة بأبراج

يتوقف لثانية، يهز رأسه جانباً مع حركة غريبة في صوار فمه

أترجمها أن ألزم أرضك يا دودة الكتب

فأسكت

ويبقى يصفر

نارين

لستُ كبيراً على الحب

نارين

أنا صغيرٌ على الندم

لنا وحدنا الأوتوستراد حتى أربيل

الموت لا يختبئ إلا في الفروع

في الليل يبكي على السكايبي

ثم

سيقود السيارة بسرعة 120 كم

صبيحة يوم ماطر و بدون حزام أمان

سنأتي أيها الموت

سنأتي و ستكون لنا عيناك

عزف الكمان في ألمانيا

كان لا بُدَّ أن أبيع روحي للشيطان.

إنشغلتُ بالحرب قليلاً ثم عدتُ إلى حروبي.

قلتُ:

لا بُدَّ من إمرأةٍ بين الضيوف تنقذ غريغور سامسا

ثم وجدتُ المسافةَ بين حجرته وحجرة المعيشة أطول من أن يقطعها صغيري،

ووجدتُ قلب لونا أضعف من أن تدخل حجرة مظلمة وحدها.

لقد حقدتُ على العالم بما فيه الكفاية،

والآن،

لم أعد الإبن – الحشرة،

كبرتُ، عزيزي كافكا،

ولم أعد أملك عينين ملتمعتين ولا أسنان بيضاء،

أغمغم" أَزْ دِهْ خُونِمْ "في اليوم عشرين مرة، ثم أغفو على الكنبة بكامل

ملابسي ريثما تجرّني إبنتي إلى السرير بقوة،

أنا الأب الفاسد الذي يتذمر من كل شيء، ويلعن نفسه،

الذي يخطف الريموت كنترول حالماً يصل، ويقلّب قنوات التلفاز بدون

هوادة،

وإذا ما حدث وأن أغاظه الإبنُ، بليّ الشفة، يمدّ يده إلى أقرب شيءٍ على

طاولة المائدة، ولتكنْ سلة الفاكهة،

ويُمطر إبنه بتفاحاتٍ مسمومة تستقرُّ إحداها في ظهره كشظيةٍ من الفولاذ

.

لست ُ المهندسَ في الدعاية التي تروّج لمشاريع النفط،

يعودُ إلى منزله بوجهٍ حليق و بذلةٍ نظيفة فيرتمي أطفاله على عنقه

تاركين على الأرض قصورهم التي من المكعبات.

لستُ مثلياً لكن أفكّر في أن أقبّل ذاك الرجل الذي يغنّي هناك،

في فمه.

لقد بعثُ روحي للشيطان، والشيطان يلاحقني أينما ذهبت،

وليظهر لي بينما أنتظرُ الآن في عيادة الأسنان،

إنَّها تُمطر،

الضبابُ الكثيف يلتهم جبل زافا شيئاً فشيئاً ويهبط على منازل دهوك،

أقترب من الطبيبة،

الطويلة، البيضاء، المنهمكة في ضبط أصوات التوربين المزعجة،

أحطُّ يدي على كتفها

أمسّدُ عظمَها

تحت ملمس المريول الأبيض،

فتنظرُ إلي دون أن تتكلم

ثم تحدّق في التلفاز،

أنفخُ برقّةٍ خلف الأذن

كي أزيح رائحة الأوجينول عن جلدها وأقول:

لماذا تركتِ عزف الكمان في ألمانيا ؟

لونا، أيُّ مجرمٍ أغراكِ

فجئتِ إلى هنا.

طواويس تطير

كان يخدم في الجيش حين صعد ذات إجازة إلى غرفة ٍ في إحدى الفنادق المحيطة بساحة المرجة، ودفع مبلغاً غير زهيد مقابل ساعة مع احدى النساء، وما بقي في ذاكرته وظلّ يكرر ذكرها دائماً في سكراتنا، أنه خرج لا بمتعة ٍأو خذلان جسدي، بل بعارٍ يتلبسه مغتاظاً من البنت الشرموطة التي تصرفت بلا مبالاة، تعرّت بطريقة ميكانيكية ثم تمددت على السرير مباعدة بين ساقيها المنثنيتين جانباً، لم تقبّله، لم تلفّه بذراعها، وبينما هو منهمكٌ في المضاجعة، ظلّت هي تفصفص بزر الشمس وتتفرج من وراء كتفه اليسرى على تلفاز معلق، بل وتضحك بين فينة وأخرى على مشاهد هزلية مقتطفة من مسرحيات عادل إمام.

كان يشرب ليسكر، وحين نلعب الورق يستسلم في منتصف اللعبة ويرمي الورق على الأرض دون أي إعتبار، ثم شيئاً فشيئاً أخذ يميل للثرثرة، ويتصرف بغرابة، يتطيّر من العميان، يسخر من الصلعان والذين يملكون إصبعاً زائداً في اليد، ويقرص الاطفال المنغوليين حتى يصرخون، وأكثر من ذلك صار مقتنعاً بأن الشرّ ملح الحياة، وأننا ينبغي ألا ننسى

أسلافنا، أسلافنا :نموا من حيوانات غير مدّجنة تدرّجت على هذه الأرض.

أحبَّ كثيراً لكنه لم يمتلك قلب إمرأة، وكان الحب يجعل منه معتوهاً، وآخر مرة رأيته فيها كان في مدخل بنايتنا حين جاء ليزورني، لكنه لم يتعرف علي، كان يمتلك في تلك الليلة نظرة الشر، نظرة الفولاذ القاسية اللامعة، نظرة رودجين في رواية الأبله.

حلت الحرب بلعناتها.

غير إسمه، وأصبح كما يظن شخصاً آخر.

أصبح مقاتلاً يتأبط الكلاشينكوف أحياناً، أحياناً اللابتوب، قال أنه وجد نفسه أخيراً، وعلى الشات كان يحاول أن يقنعني بفكرة ما، يومئ بجمل غامضة، ثم ذكر بأن فتاة مسيحية، رفيقة له في الجبهة، أصطحبته إلى كنيسة كان في فناءها الأمامي أكثر من خمسين طاووساً، لن أكمل ما سيحصل له فيما بعد، ففي ذلك النهار، توقف لبرهة ثم ناول صديقته اللابتوب، وأخذ يلاحق الطواويس في فناء الكنيسة محاولاً الإمساك بإحداها، لكن الطواويس راوغته في جميع الجهات، حول الأشجار، في الهواء، بين أقدام المصلين الذين توقفوا على مصطبة أمام الباب ليراقبوا شاباً تائهاً يحرك أذرعه في الهواء ببلاهة،

الصديقة المسيحية تضحك منه، له، عليه، ضاع في التخمين، الطواويس ترتفع من حوله، أمامه، خلفه، وهو يتضاءل حتى لم يعد موجوداً.

أظنه بقي مؤرقاً حتى الفجر ففي الرابعة تقريباً كتب لي sms يقول فيها:

بالأمس فقط، أكتشفت أن الطواويس تطير.

أقرب إلى يدي

كان يعاني من الحمّى، يغمغم، يهذي:

"إيلا "و عرفت فيما بعد أنها زوجته،

" بيترا "إبنته،

" أوشفيتز "وأنه قد أُعْتِقِل في 1942 من قبل الغستابو، لينجو من الإعدام بإعجوبة لكن دون شعر ولا أسنان.

كنتُ في سريري المعدني القابل للطي تحت شبكة تقيني من البعوض، حين أستيقظَ، تناولتُ ساقه اليمنى بيدي لأرى آثار عضة الأفعى، وبقيت أراقبه حتى عاد نبضه طبيعياً.

"ويتمان،

برنارد ويتمان، كيف حالك صديقي؟"

كان يحملق بعينين زائغتين، فأردفتُ دون أن أنتظر جوابه:

"ماير

دكتور ماير، صديقك من بون".

القطار كان بطيئاً بين بغداد وكركوك،

في السليمانية مضى إلى عربت في سيارة الأندروفر التابعة لشركة الطرق، فيما بقيت حتى أيقنت أن الحياة تمضي أسرع مما نظن، هرمت مع الحرب فجأةً فيما زوجتي التي من فيينا ما تزال تخونني مع الأكراد، لا عزاء في هذه البرية سوى الرسائل، ودقات أجراس كولونيا ترتفع من إذاعة الموجة الألمانية مساء الأحد، كنتُ آمل أن أنجو، وحين نجوتُ عرفت أنني ما نجوت، تخلّيتُ عن كل شيء ورائي، وجئت لأدفن نفسي بين المرضى، بين رجال كالحين ونساء ملتفات في العباءات، أرتكبت أخطاء طبية أُستدعى لأجلها إلى المحكمة، وآثاماً بحق الآخرين، تعلّمتُ أن حياتنا البيضاء النظيفة المرتبة يمكن أن تُطوى بعناية لتُرمى كمناديل تُسْتعمل لمرةٍ واحدة.

في المطعم

صاح برنارد" :ألا يوجد إبن حرام ألماني هنا لأتفاهم معه؟ "فضحكنا ثم ناكفته:

"ألستَ الجوكر، ألست تدوّن أسماء الحيونات وألقاب العشائر لتؤسس لحياة جديدة، ألست تستشهد دائماً بمثلنا) بلاد أخرى، عادات أخرى(، فتقبّل ما يحدث لك"، فسكب البيرة على الطاولة، حدّق في عيني وقال:

"سيموت أحدٌ منا".

لم أكن مهيأً

كنتُ أقرأ كافكا في الليل،

وأعتني بحديقتي من أزهار عباد الشمس

لكن

قارورة السمّ كانت أقرب إلى يدي.

أفعى في بطن إمرأة

كل شيء هادئ في عينكاوا

الحياة المرتبة بعناية

لباقة عمال الريسيبتشين

الذين يلتفتون منزعجين

حينما يعمل مثقب ضخم خلف جدار التواليت بين فينة وأخرى

شخص أجنبي أصلع يشبه مايك تايسون

يتصنع الفكاهة مطلقاً

Fuck

متوجهاً بكلامه إلى كرسون ربما بنغالي أو هندي

يتحدث الإنكليزية بطلاقة

تذكرت فجأة الليلة التي عرض فيها التلفزيون السوري قبل أكثر من عشرين عاماً مقابلة مع إمرأة تعيش في بطنها أفعى، يستغرب المذيع

(ربما كان توفيق الحلاق) وجود الأفعى في بطن إمرأة، لكن الطبيب يفسر الحالة بعد ان تدلي السيدة شهادتها فالسيدة شربت من النبع ماء يحتوي أفعى صغيرة وليدة عبرت البلعوم لتستقر في البطن،

نحن المشاهدين في البيت لم نكن مستغربين بتاتاً لأننا نعرف السيدة فهي من بلبله من بيت ملتجي ،ونعرف النبعة التي شربت منها فمياهها مليئة بالشراغيف والطحالب وتقع تحت شجرة الدلب أسفل جبل غريه مزن، كنا متأثرين لأن التلفاز كان قد وصل للتو ونشاهد كل ما يعرض فيه ولأن السيدة كانت تتحدث الكردية نعم الكردية ولا تتقن العربية مطلقاً مما استعانوا بمترجم.

السيدة تتكلم بصوت ميت بعد أسبوع

البنغالي يحمل الكؤوس الملطخة بالكاباتشينو

توفيق الحلاق ما زال مدهوشاً

مايك تايسون يغير محله وهو يغمغم

Oh my God

فالمثقب بدأ يعمل مرة أخرى.

أراقب ولا أكمل

لسنا أبطال روايةٍ بوليسية:

سنكتفي بإقامةِ جنازة ٍ تليقُ بالميت

لا ضرورة َ لشهودٍ يحلفون

ولا لمخبر ٍسري يكشف عن لغز القتل

لن أندم على أن تتحطم غرفة النوم

وبراد البنكوان وغسالة الأوتوماتيك

بل وأرغب أن تقع عن رف الحمام

ماكنة الحلاقة التي كانت تتعطل

بإستمرار

ليتقشر الطلاء الذي دهن سيئاً بالأصل

ولا بأس أن يُدّمر برمته هذا المنزل

الذي ورطني فيه المكتب العقاري ولم أدفع أقساطه بعد

لن أتشاجر مع جارتنا في الطابق السفلي

بسبب أنابيب المجاري

فالعجوز

لم

تعد

موجودة

أبتسم وأنا أجرد ما دمرته الحرب

حياتي تنفق أمامي

كحيوانٍ أليفٍ مريضٍ لا شفاء له

ليس بإمكاني سوى أن أراقبه

ولا أكمل

4

ملاك يبتسم بخبث

٢٠١٤

1

نجوتُ، أعرف، لكن كلما نظرتُ في عيني لا أرى سوى البحر.

2

كيدِ الغرقى الذين تركتهم خلفي،

لا أعرف ماذا بقي لدي لأراهن عليه،

لكن كلما رأيتُ البحر أعرف أن اللعبة لم تنتهِ.

3

لشدّةِ ما رأيتُ القبور،

عيناي الآن حقلان من عباد الشمس.

4

كلانا لا يعرف ما هو الحب،

لكن على كتفكِ شجرةُ تفاحٍ لا يراها سواي،

على كتفي طيرٌ لا يراه سواكِ.

5

استعملي يدي حمّالة صدر ولا تقلقي،

لا عمل لدي أيتها المستعجلة وأنتظركِ هنا،

ستركضين في محطة الميترو دون حرج

وتكونين سعيدة،

وسأكون سعيداً أيضا ما دامت يداي تصلحان لشيء ما.

6

بألمٍ أنظرُ إليك تسندين وركك على طاولة المطبخ،

على قدمٍ واحدة

تراقبين شجرة الرمان وتسهين عن مقبض السكين يختفي تحت مؤخرتك،

حين تعودين من الممر

أنفخي على وجهي

لأعرف أنني ما أزال هنا

وما أزال أنظر إليك بألم.

7

يخونكِ فمي الذي قبلّكِ،

يخونكِ لساني الضرير، لساني الوقح،

وثم ماذا يعني أن أخاطبكِ على المائدة :عزيزتي،

إذا كنا سنضرط في آخر الليل كالبغال؟

8

لا أنوي أن أحب أحداً كي لا أقتله في يوم ما،

لا أنوي أن أقضي أيامي

وأنا أندم كلما نظرتُ إلى يدي

9

كم كنت طيباً وأنا أخونكِ,

كم كنت خبيثاً وأنا أبتسم برقة بينما أراقبك,

أبتسم بينما أنت تغمضين عينيك لحظة القذف وتصرخين.

10

كنت أستقيم بالأسرار، كبرت ولم يعد لدي سر أستقيم به،

لدي نفسي ألعب معها، أقول لها في العالم حين يضيق، سألدكِ في النهار، وأولد منكِ في الليل، فأدخلي من هناك وأخرجي من هنا ذئباً يلحس ساقي، أدخلي من هنا وأخرجي من هناك طاووساً، لم أعد بحاجة لشيءٍ من أحد،

لديَّ فخُّ الأسماء لأقول أني لست وحيداً،

لديَّ لأفزع قلبي هذا الحجرُ الكريم،

لديَّ حجرُ الخطأ يتقد كلما أغلقت فمي.

11

كنت أخشى أن تصحو ولا تراني،

فكيف أصحو وأراك ستنام إلى الأبد

12

أرى يدي

ولا أرى قلبي

بذور الغفران

لا تنبت إلا في أرض الخطيئة.

13

لنحتمل الحياة، نميل الرأس نحو القلب،

لنحتمل الحياة، نظل نسقي زهرة اليأس بماء المراثي.

14

على كتفك تركت فمي،

فلا أتكلم لتراني ولا تستدير فأراك.

15

ذات يوم، سأرتجف وأنا أقول اسمكِ لإمرأة أخرى،

ذات يوم، سأستعير مفاتيح غيري

لأنهمك دون جدوى في الباب الذي أغلقته بيدي.

16

لا أزال أحب النميمة من فمكِ،

وكلما كنت تلمسين ركبتي

وأنت تتكلمين عن بطن ميتةٍ أو خيانة ميتٍ،

كان ينتصب معي

ولا أعود أعرف في الفجر أين أنا،

وتزوغ عيناي

حتى لا أتبين خيط الموت من إبرة الحياة.

17

إنها الحرب،

ولا حاجة للفلسفة ما دمت أتذكر جيداً،

إنها الحرب،

ولاحاجة للتذكر

فقد قتلت من أحببت،

ولا حاجة للندم أيضاً،

فكلما كنت أنهمك في قتل أحد ما،

كنت أحبه.

حجرُ السكينة

الغيومُ البيضاء الخفيفة فوق هذه الجبال

تتقد بحمرة الغروب

لتصطدم بحجر السَكينة

سأراكِ في دائرة الإقامات بدهوك

يبدو أنكِ

ما تزالين تفضلين التنانير القصيرة

والقمصان الغامقة ذات الياقات المفتوحة باتساع،

شُفي وجهكِ من حَبِّ الشباب تماماً

سوى أنكِ كنتِ قد هرمتِ

تثرثرين عن الحرب

وحقوق اللاجئين

وتأمين المستقبل لجروين صغيرين برفقتكِ

لم تعودي تخبئين حجارة فرجينيا وولف في جيوبك السرية

ولا تحفظين حوار نيكول كيدمان في فيلم الساعات:

"ليوناردو، لا،

لا يمكن أن ننال الطمأنينة بتجنب الحياة"

لقد أخطأتُ، أعترف،

بل عشتُ بجوار الخطأ

ثم عرفتُ أنها لم تكن سوى حماقات تخصنا نحن البشر

الآن أسامحُ

الذي صفعني دون سبب قرب باب المدرسة الثانوية

وكنت أعلق صورته في ذاكرتي وأسفلها**wanted**

أطلب الصفح الآن من الشاب

الذي كان يتبول واقفاً أمام المبولة في التواليتات العامة جانب مبنى الأزبكية

كنت أمر بجانبه حين قرصت مؤخرته ولطشته ببراءة:

" طيزك حلوة"

تفاجأ، وأعتبط بين أن ينهي تبوله، أو أن يشدّ حزامه

فيما كنت أصعد الدرج بمرح

لا تنالني سوى شتائمه

لم أكن وغداً كفاية أيضاً

قرأت ثمانية عشر مجلداً من أعمال دستويفسكي

ولم أجرأ لأنزل عشرين درجة

لأخنق جارتي العجوز في الطابق الأول

الشمطاء التي تكدس أوراق اليورو التي تصلها من ابنتها بألمانيا

أخطائي

أصلّبها بالفورمالين

وأحفظها كثعابين في قطرميزات محكمة الإغلاق

أخطائي لا تنام

وحين تنام لا تلبث أن تصحو على الشوق في صوت أم كلثوم

أما حياتي فحديقة حيوانات،

ظلت الأسود والقردة والطواويس في الأقفاص،

الدجاجات فحسب

كانت تلتقط القمح حرة عند غرفة الحارس

في محطة بغداد بحلب

مدحتُ الشراب والجنس والبهارات الحادة لأسخر

من راكبين كانا يهذيان عن تشيخوف وكافكا وإدغار ألن بو،

ويتكلمان بحماس عن رومانسية القطارات

وسحر مرض السل، والموت في عمر مبكر

في القطار نفسه

ظلّ المسافر بجانبي يحدق في العراء حتى دمشق

مثبتاً بين ركبتيه

صورة شعاعية كبيرة

أحببت أن أوذيه لكني أشفقت وحينها، أتذكر،

رأيتكِ

تقومين من مقعدك وتغادرين نحو عربة المطعم

كنت أحملُ نظارة طبية لأخاطبكِ:

"آنستي سقطت منك هذه"

لكنْ حين أقتربتُ رأيتك تبكين في المسافة الفاصلة بين المقطورتين

وكانت قلادة الفضة الطويلة تتأرجح على صدركِ

على أفق الياقة الواسعة

بينما تنورتك القصيرة فوق الركبة

بإصرار تستدعي يدي الطيبة

لترتكب الخطأ

الذي لم أرتكبه

على الخطأ الذي لم أرتكبه، ألوم نفسي

أتأمل هذه الغيوم البيضاء التي تتقد

ولا تصطدم بشيء

وأفكر:

يوماً ما

سأسرق المفاتيح من حارس الحديقة

وأطلق هذه الحيوانات في ليل دهوك.

البحر يسكن هنا

لا شيء يبقى في الفجر

سوى جلبة خفيفة تصدر عن ماكينة الآيس كريم المتروكة

أمام محل المثلجات

بعد قليل

ستظهر على الإسفلت قرب مدرسة البنين

بقعٌ بنفسجية كالتي تتركها حبات التوت الأحمر

ستتوافد سياراتٌ كثيرة إلى البلدة

وسينتهي الضيوف من سرد أحلام الأمس

:كنت أمشي في صحراء وكان صوت أبي يأتيني

"لا تذهبي إلى حلب

لا تذهبي، أخاف عليكِ من الطريق"

:أما أنا

كنت في أستراليا

في حفلةٍ كبيرة

كانت نيكول كيدمان تخضُّ علبة بيبسي ثم تقربها من أذنها وتقول " البحر يسكن هنا " ثم مرّ كنغرٌ يقود دراجة فدلق المشروبَ على الطاولة رجلٌ ستيني أظنه كان كويتزي وعلّق " هذا الأحمق سيقتل نفسه " ولم يكد ينهي جملته حتى أتت شاحنة طويلة وصدمته فحلّق أمامنا في الهواء كبهلوان

يروح الضيوف ولا نعود كما كنا قبلهم

سأحاول أن أقول لكِ شيئاً:

صباح آخر و أخشى على ضوء الممر من ساقيكِ الجميلتين

أو أن الحرب لا تصبح قديمة مهما طالت

أو أننا معها نكره التلفاز

ونتعلم كيف ندفن موتانا دون عزاء

لكنكِ تفعلين ما لم أكن أنتظره،

تنظرين إلى الجانب الآخر

وتبكين دون سبب

رغم أن الصيف لا يزال بعيداً

وما من شجرات توت تعبر تحتها قطعان ماعز

ستظهر على الإسفلت أمام المنزل الذي أقيم فيه

بقع بنفسجية كالتي يخلفها التوت الأحمر

ثم من تلقاء نفسها

لا تلبث أن تزول دون أن يلحظها أحد

من أهالي هذه البلدة.

هوليا

في التاسعة من الصباح

سيارتا بيكابDEER

تدخلان البلدة، إحداهما محملة بالكراوس والسبانخ والفجل،

الأخرى بالسمك المحفوظ بين قوالب البوظ

بورقة كلينيكس

ألتقط هذه الزواحف الصغيرة ذوات الأرجل الدقيقة الكثيرة

التي تعبر من تحت الباب

ثم ألعن الحرب

وأقذفها في الحديقة الأمامية للمنزل الذي أقيم فيه منذ شهور

"نسيتِ أن تغلقي الغاز مرة أخرى" ،

" ثم ّ أين وضعتِ رواية كافكا؟"

سوى أن هوليا تظلّ تقلّب قنوات التلفزيون

قبل أن تقوم إلى حيث أنا، تمسك يدي وتضغط عليه:

"أنتَ تؤذيني ، أنتَ".....

أخرج وأدخل،

لتبقى تغزل خيوطاً غير موجودة بإبرةِ من الهواء،

تراقب العمال يشيدون الطابق الثاني من مولٍ صغير قبالتنا

وتنتبه لأشياء أخرى:

للبصقة على العشب،

للندبة على الرسغ،

لشعرةٍ حول الشامة التي أسفل الثدي.

هوليا تصيد الخاطر، تنظف سرّتها بماء الكولونيا،

وتندم.

أتذكّر:

كدتُ أناديها حين رأيتُ الوجه :فايزة أحمد،

لولا أننا كنا نعبر جسر إبراهيم الخليل، ودهوك كانت قد أصبحت خلفنا،

كنا على مداخل سلوبي، ظهر فجأة قطيع أبقار

فتوقفتُ

وأنتبهتُ لسهم ٍ يشير إلى طريق إستانبول،

وككل أبطال السينما

صادفتها في كازينو ترقص بين ثلة من الأوغاد

وككل أبطال السينما

كنت أظن أني سأطهّرها بالملح والوعود والأغاني

لم أحتسب للكراهية في أحداقهم

خطفتها،

وأخذتها للبحر.

لليالٍ طويلة كانت تغمزني :

"نصفكَ الأعلى الحكمةُ لكن نصفكَ السفلي ثورٌ" ،

وكنت أفعل شيئاً واحداً

أمدُّ يدي إلى البيجامة السهلة الإنزلاق، وأكمل:

"سرتكِ تنصفك أيضاً إلى إلهٍ وشيطان"

ونلعب،

ويتعلق الشيطان بقرني الثور حتى تغفو الحكمةُ في ظل الإله.

إنها التاسعة إلا الربع صباحاً

ألعن الصدفة،

الحرب،

والعامل الذي يجرّ خلفه أسياخ الحديد،

فيما تبقى هوليا

تقضم أظافرها وتنظر

بعد قليلٍ،

ستدخل البلدة سيارتا بيكاب

إحداهما

محملة بالسبانخ والكراوس والفجل،

الأخرى

بالسمك المحفوظ بين قوالب البوظ.

يكفي يا كلب

ثمّ إن هذا الذئبُ قديمٌ أعرفه، جاء ليؤنسني في براري دهوك، يشمُ رائحتي خلف الباب ويعوي، إنما ما يخيفني الماء، الماء الذي يفيض على السطح ويهبط كمزاريب كثيرة، وأقوم إلى غرفة النوم لأجلب معطفاً فأستغرق في خزانة الملابس وأجردُ ما لديكِ، كلسونكِ الأبيض، الآخرُ الأحمر الساتان، الأسود المخّرم، يبدأ الألم كغثيان ثم يسري حتى الخصيتين، وأتذكرُ أن جدّي أحبكِ، وكان يذكركِ حينما مررتِ أمامه في الضوء الشحيح في سينما أولمبيا وقلتِ:

هل تسمح سيدي؟ فولجتِ بين الحديد وركبتيه منحنية لتفتحين مقعداً بجواره وتلقين في أنفه رائحة إبطيكِ، ومن يومها كان يقف أمام شجرات الزيتون بين الطريق والنهر يلمس جلده ويستعيدُ ملمس جلدكِ، ظلال زغبكِ في إحدى منازل بحسيتا، وكان يسميكِ بكل الأسماء

خانما من، البلبل ناغى على غصن الفل

مارلين لا تغويني بصوتكِ فأنا وحيد

آنّا إنتظري قليلاً، لا تلقي بنفسكِ تحت القطار

نانا لديكِ شامةٌ هنا، ربما هنا

ويحط سبابته الماكرة تحت خط السوتيان الذي يشف من تحت القميص،

لا ليس هنا، بل هنا، وينزل

وأنزل إلى ما تحت السرة وأقولُ:

كملاكين تقودني فخذاكِ إلى النوم

وأقبّلكِ حتى قدميكِ وأمدح ما تملكينه وما لا تملكينه حتى يفرّ العرقُ بين بطني وبطنكِ نحو الملاءات، وريثما تهدأ حقول الزيتون، وتهتفين :يكفي يا كلب، أناديكِ بكلّ ما لديك من أسماء، وثم بخبثٍ لم أرثهُ من أحد، أجرّدكِ من كل الأسماء

وأقول:

تقودني فخذاكِ

كملاكين

تقودني فخذاكِ

بعيداً عن هذا الماء،

بعيداً عن هذا الذئب القديم الذي لا أعرفه.

ملاكٌ يبتسم بخبث

يتكلم مضيفي عن بوابة بادينان التي كان الأهالي يجلبون الماء عبرها

من الينابيع الغربية من آميديا ويضيف أن هيرودت ذكرها

فأتركه لضيوف آخرين وأنصرف نحو فيلم هندي على قناةZ ،

وأخمن بأنه وصفها بحصن معلق في السماء، تستعصي على الشياطين

ما دام أن صيادوها كانوا يعرفون كيف يغرون طيور الحجل

إنشغلتُ حتى الظهيرة بطائرةٍ ورقية صينية الصنع مطبوع عليها صورة

العلم الكردي

حاولت أن أطيّرها على سطح البيت

لكنها أخذت تعلق بين حبل الغسيل وهوائي التلفاز

فأستسلمتُ ونزلتُ لألتحق بأصدقاء سيزورون قبراً مباركاً في الجبال

مكتفياً

بأن حظي سيءٌ هذا اليوم مهما فعلت

أظنني مضيتُ بعيداً

حتى أن أفعالي القديمة تتبرأ من عيني التي رأت

أظنني سأمضي

حتى تتنكر يدي لما سأفعله

لأنني قرأت، لأنني أحببت، لأنني صدقت كل شيء

لأنني نجوتُ بخدعة صياد

أندمُ أمام هذه الجبال

أندم لأنني تركت الأرض للأشباح

وعدوتُ و عدوت حتى نسيتُ أن قلبي قلبٌ حيٌّ لغزالٍ مقتول

بما أننا أصبحنا مقيمين في الفيسبووك

سأحترس،

سأحترس ألا تغويني التفاحات في يد العجوز

في كافيتريا بآميديا

يسدد الخصم كرة نحو الإذن اليسرى للاعب الكريكيت،

يلتقط اللاعب كرة الخصم ثم يرتجف وهو يسدد المسدس إلى صدغه،

أنزوي في كرسي تعلوه صورة ضخمة لسنووايت بين الأقزام السبعة

وحين يهب الهواء بارداً من الغرب

أرى ذيل فستانها الأزرق

يهتز قرب وجهي

سأرشو أحداً ما بفكرة ما

لا أؤمن بوجود الملائكة

لكني على يقين من أنه ثمة ملاك يقرأ ما أكتبه الآن

ويبتسم بخبث.

فوتوشوب

سجنٌ حيثُ أقيم، يربطني بهذه الأرض لغمٌ تحت قدمي كان ينفجرُ كلما توهج ضوءٌ على حدود تركيا في الليل، لن أزحف كأفعى مندفعاً عبر حقول القمح نحو دهوك، و لن أتبع الطريق وسط البازار حتى نهرٍ صغير يصل أطراف أربيل، سأبقى حيث أنا، أحتفظُ بثأرٍ لا بد منه، وأكبر ظنوني أن خيانة قد أرتكبت، سأرقب تفتح الأوراق على شجرة الرمان وأتأمل شبحكِ حول طاولة المطبخ ينحني على مفاتيح اللابتوب، يحاول تعديل صورة لكِ بالأبيض والأسود، ستنظرين إلى بقعة عمياء أحسبها ظلي خلف البوابة ثم تعودين إلى الفوتوشوب، وسيحصل لي ما يحصل لي عادة حين لا أراكِ وحدكِ، سأخطئُ في إسمكِ، وأناديكِ دون أن يخرج مني صوت:

أوفيليا، تعذبني يدكِ على كتف غيري

أوفيليا، تعذبني يدي على كتف غيركِ

أوفيليا....

وتصيح الديكة لأشم رائحة لحوم شويت لأجل العزاء وقُدِّمت باردةً على موائد العرس، أخمّن أولاً أنها من المطعم القريب، ثم أتيقن من أنه الفجر، وأن الرائحة القديمة هي الرائحة القديمة وقد هبّت من نص أقرأه، وأنه سجنٌ، سجنٌ حيث أقيم.

بيمال

كانت تمطرُ على الطريق،

ومن أول دهوك كنتُ أتسلى بالماء الذي يبلل ما كتب على مؤخرة السيارة التي تسبقنا :

"جاء الربيع، أنتِ لم تجيئي؟ "

في روفيا تذكرتُ كم أحببتكِ،

في بَرْدَرَشْ، كيف كنتُ أكبرُ وأنا أحبكِ،

في أربيل دلفتُ إلى مقهى مسرعاً، كانت ما تزالُ تمطر، وكان المقهى مزدحماً بالمغنيين، ناظم الغزالي، حسن زيرك، فريد الأطرش، محمد ماملي، فتذكرتُ كيف أحببتكِ حتى صدّقتُ أن عائشة شان ستُولد من نسلكِ، وسترثُ شامتك نفسها، وستغني ما كنتُ أقوله لكِ سراً وأنتِ شريدةُ المنازل في مدينةٍ أخرى:

"بيمال

لستِ قصيرةً، سأطَعِّمُكِ لنفسي،

بيمال

لستِ طويلة سأخلع هوس قلبي على قامتك ِ معطفاً من معاطف أهلِ المدينةِ،

بيمال

لستِ تفاحةً من تفاح ملاطيا، سأخبئكِ في عبّي عاماً كاملاً، بأثني عشر شهراً، لأستفتحَ، في يومٍ من رمضان، إفطاري و سحوري بكِ"

ستمطر

وسأهجرُ الحكاية حين يصيبني الصداع،

ستمطر وأتحسر حين أرى أنني أصبحت حكاية ما،

أقولُ:

حين نروي سيرة ما، نهدم قبراً من الظلال .

حين نروي،

نجرح الهواء،

ولا أحد يحتمل رائحة حياة ميتة.

كنتُ قبل عامٍ على يقينٍ من أننا نُكْرِمُ الميتَ بدفن أيامه،

والآن

أحقدُ على من يروي ما لا يكتمل،

بائسٌ ولا أعرف السعادة إلا حين أصدّقُ كل ما تقوله الأغاني:

إسمي يفغيني وأنتِ لم تلتقي برجلٍ مثلي،

ولدتُ في حلب كي أراكِ في صربيا،

نجوتُ من الحرب ولم أنجُ من الحب،

ستصافحينني بفمكِ وسأحملكِ كإبنة،

أقفز عالياً،

يا هوووو،

أنا يفغيني، وأنتِ لن تلتقي برجلٍ مثلي.

في حياةٍ أخرى،

سأكون

أعمى،

ولن أحتاج لمرآة لأدرك كم عيناي جميلتان.

ليست يدي

سيكون هناك إثمٌ عميق

ومشتلُ نعناعٍ في حديقة البيت

ثم مغفرةٌ وغيمةٌ في السماء

عندئذٍ

جديداً كنظرةٍ شريرة من عينين جميلتين

سأرى الربيع هنا

لم أعد أفهم أي شيء

أحدهم يغني:

ستهطل غيمة ٌ هذا الربيع

وسينبت الحجل على بابك ِ

خرجتُ من غرفة النوم وأنتِ تغلقين سحاب بنطالكِ

من وضع الكاميرا هنا، مشغولةٌ أيضاً:

تضحكين بخبث وتقولين:

لا أحد، لا، لا، أحدٌ ما

ونكرٌّ الفيلم من أوله وأنت تلفين عنقي وتمازحين:

إسمع جيداً،

حين كنتُ أئنُ، خرج مني صوتُ إمرأة أخرى

فأقول:

إنتبهي أنتِ جيداً،

في هذا المشهد وأنا أقبلّكِ،

ثمة يدٌ أخرى، ليست يدي،

فكت مشبك ً سوتيانك.

غداً عطلة أخرى قبل نهاية الأسبوع

سنمضي إلى الجبال

دون فيديو

دون فيسبوك

جبال دهوك، حين أفكر فيكِ، سربُ أسرار خضراء

السيارة تهبط

العالم مغسولاً

من مطر الأمس يتهادى

إلى الخلف

نظيفاً

في

مرآة

نظيفة.

عينا النمر

في الخامسة والعشرين

كانت ما تزال تملك ثديين صغيرين كحبتي جوز

ترتدي قميصاً أبيض اللون عليه صورة نمر

وكانت كلما أرتدته

تستقر حبتا الجوز في عيني النمر

المائلتين للإخضرار

وكان رجلٌ يهبط إليها من الجبال

يسوق سيارة كيا ويجلب لها الفلافل كل يوم جمعة

وكان النمر يتألم كلما غنت أم كلثوم

وتتقد عيناه كلما أوجعها أسفل البطن

تمرّ سنوات وتحل حرب

ويأتي رجلٌ ذات يوم ليجلس تحت شجرة ليحدثكم عنها

لا يهم إن كان عشيقها

أو من تزوجها فيما بعد أو من كان يسوق سيارة الكيا

ولا يهم إن كانت الشجرة

شجرة جوز أو غيرها

المهم أنها كانت في الخامسة والعشرين

وما تزال تملك ثديين صغيرين

كحبتي جوز

سمراء ونحيلة

تتذكر شيئاً ما وتبكي كلما غنت أم كلثوم.

أنا أيضاً ضيف

كنا عائدين ليلاً من السليمانية في سيارة جوك نيسان بيضاء حديثة بسرعة140 م حين أخطانا طريق أربيل بعد جمجمال فإذا نحن على مداخل كركوك، لم أفكر في الأسوأ على الإطلاق الذي سيحدث، بل فكرت في إبن كركوك، صلاح فائق الذي كان يرى أباه يغني أو يستمع إلى أم كلثوم في راديو بحجم برميل، يفتح باب غرفة الضيوف ويغلقه، يطلب شاياً ومعجنات، ويقول :أنا أيضاً ضيف، ثم أتخيله مع أشباحه في لندن، لم أشأ رغم أننا أصدقاء على الفيسبوك منذ سنة، أن أزعجه بسؤالي :لماذا ذهبتَ إلى الفلبين وتركتَ كل شيء، بل كنت أكرر سؤاله الأبدي:

كيف أقنع حصاناً بأنه حصان إذا ظل ّ يحّدق في مرآة ويبكي؟

منذ أسبوع

أحاول ألا أقيم شجاراً في بيت، أو محكمة في طريق،

أحاول أن لا أكترث بالأغاني العاطفية

أحاول أن أشاهد فيلماً لإنغمار بيرغمان وأنا متمدد على الأريكة، أتكلم على الموبايل، أو أقوم إلى المطبخ لأجلب علبة بيبسي

أحاول ألا أرتكب الحماقات نفسها

وكأي كوردي، حين يكون بلا عمل،

أحاول ألا أقتل رجلاً، ولا أخطف إمرأة

في الحياة أشياء اخرى تستحق أن تعاشر بعنف،

الجنس الذي لا يودي إلى الحب،

الكتب، الأكاذيب،

والخيال

كأن أرسل sms إلى بريد أفريقيا قبل مئة عام وأقول:

عزيزي أرثر،

غادرتُ حلب في العمر الذي عدتَ فيه إلى شارلفيل ميتاً،

لقد كبرت بما فيه الكفاية لنصبح أصدقاء،

والآن أطلب منك سلاحاً لا يترك مجالاً للندم،

أعرف أن أسلحتك باتت قديمة لكنها ستقوم بعملها

وستكون أنفع من السكاكين التي نستعملها في حربنا

التي يبدو أنها ستدوم طويلاً

منذ أسبوع

لم أعد أبالي بمن يخاطبني ذات صدفة، " لم تعد كما كنت، تغيرت كثيراً "

أو بمن تبكي وهي تضغط على أسنانها:

"أنت لا تفهمني ، أنا لم أقصد... ؟"

لقد بدت أثق بالعمل،

سأعمل،

سأعمل،

وسأفعل أي شيء لأبدو مشغولاً،

سأقول لإمرأة تنتظر في عيادة طبيب أسنان،

تعالي لأخرج هذا الحسك الذي يجرح لسانكِ،

ستصر أنها لم تتناول سمكاً منذ الخريف لكنني سأقنعها " الحسك سام وأخشى أن يسري في دمكِ" ، وأنهمك بين أسنانها حتى أرفع الملقط نحو الضوء بحركةٍ ظافرة وأعلن:

"أها هو ذا"

وأستأنف وأنا أراقب الماء على يدي:

إذهبي إلى البحر متى شئت لكن إنتبهي،

لا تستعجلي،

ولا ينالكِ السهو

وأنتِ على المائدة

تتذكرين كوابيس الليلة الماضية.

الطير تحت الإبط

على طرف من جسر سيداواه،

تبدو مواقد الغاز وطناجر الضغط في بازار شيخ الله،

على الطرف الآخر

عربات صغيرة فوقها صناديق الفريز والموز والأناناس،

وعربات أخرى

للألبسة الداخلية وسيديات الموسيقى.

من ساحة نيشتيمان

يأتي البغداديون والسوريون والبنغال إلى هنا،

لترتيب حياة أخرى،

أنا لا عمل لدي اليوم

لذا أنشغل بإنتقاء مشبك شعر

وفي غفوة

أحط يدي بين صفوف السوتيانات

وأستعيد غموض الهندسة في سوق النسوان بحلب

لقد تنقلت بين منازل كثيرة لأتعلم مديح الخيانة

لا أقصد الترجمة،

بل أن أكون في البيت

وأخون التي تنتظرني في الحديقة،

أن أكون في الحديقة

وأخون التي في البيت

أحب ولا أعرف أنني أخون

إلا حين أرتجف وأنا أفتح الباب

فالحديقة ليست سوى حديقة المنزل الأمامية

والبيت ليس سوى المنزل

الذي تحيط به شجرة رمان بجذعين

ومشتل نعناع

وصفوف من البصل.

كان ينبغي أن ترتدي معطفاً، الحديقة باردة في الليل:

وأترك ساعة بفمي على الكتف

ضوء الكمبيوتر يفتن على قميصكِ الأحمر، ألم تنامي بعد :

وأوقظ الطير تحت الإبط.

مشوشاً من الحرارة بأربيل

أخطئ

أدخل الصيدلية وأقول:

آنسة، بكم بطاقة الطائرة إلى إستانبول؟

أدخل مكتب الطيران

وأقول:

دكتور، لم أنم منذ أيام،

ولم آكل آيس كريم منذ صيفين

ولثتي تنزف كلما بصقت

وأبصق بغضب

بصقة

بيضاء

متقنة

كما يفعلها اللاعبون في كرة القدم

يقفز الفريق مبتهجاً

لا مبالياً أقف على جسر سيداواه

كأنني الذي إلتقط الكرة من خط التماس

وأتى بهدف مفاجئ على أرض الخصم

في مباراة البارحة.

تحرّك الثعلبُ في الطريق

قال أنه غريبٌ هنا، وأنه كان غريباً في حلب، وأنه عازف درامز ويحفر على خشب الموبيليا، لكن لا أحد هنا يهتم بالموسيقى الغربية والخشب الذي يتشكل وفق الهوى، كل شيء يأتي جاهزاً، معلباً، مغلفاً من وراء الحدود. ثم قال:

جئت بعدك وسأغادر قبلك، قد أعود وقد أذهب بعيداً، لا يهمني أن تنتهي الحرب أو لا، ثم متى انتهت الحرب هنا حتى تبدأ، هنا أرض الدم والخطيئة، اجتمعنا نحن الكرد والعرب والترك والفرس والأرمن لنخطأ بحق بعضنا مثلما أخطأنا الرب، احترسنا من الأفعى والذئب والفيضان والليل والمرض، احترسنا من بعضنا، مجدنا الموت واحترسنا من الحياة ولم نحترس من الكراهية، لم نعد نشتهي نسائنا لكثرة ما اعتدى عليهن الآخرون، كل يوم نبدي برهاناً على أننا حيوانات تجتر الخطيئة، لست أدري، نخطئ لأننا نمتلك العقل أو لأننا لا نملكه، ثم قال:

عشت مع الرب وسأعيش بدونه، أنا يائس لأن هذه الأرض لا بحر لها، ولأن الكردي لا يفكر إلا بالبطن وما تحت البطن، وأنا حاقد ولشدة ما أحقد لا أرى، ولا أفرح، ولا أرى الفرح سوى وجهاً آخر للندم.

وبينما كان ما يزال يتكلم باندفاع قاطعته ما أن توقف في فاصلة، قلت:

هل تستطيع أن تكرر "روڤي لريه لڤي" (أي تحرك الثعلب في الطريق) سبع مرات دون أن تقلب الراء إلى اللام،

كنا في الأيام الأولى من نيسان، وكان مطر خفيف بدأ يسقط على أربيل،

نظر إليّ كمن صحا من حمى، وقال مبطئاً ولكن بقسوة:

"الطيز التي تضرط، تتحجج بخبز الشعير"

وقال وهو يخرج الباسبورت المزعوم من الجيب الخلفي للجاكيت:

أتحمل العداوات لكن لا أتحمل سوء الفهم،

ثم أضاف وهو يكز على أسنانه:

افتحه وتأكد، جئت هنا كي أقول لك، أنا لن أهرب من أحد، أنا أهرب من نفسي.

I am old man

في منتصف باحة كنيسةٍ بكاديكوي تتركُ عروسٌ من طائفة الأرمن يدَ الإشبين، تتكوّم على نفسها كمن أصيب بألم حاد في الزائدة الدودية، ثم تنتفض أمام ذهول الحاضرين متفتتةً إلى طيور بيضاء ترتفع فوق مضيق البوسفور وتحوم حتى تصل إلى المنازل العالية في باخجه شاهير حيث تلتف في سرب يهبط بإندفاع ليرتطم بنفسه مختفياً في مرآة كبيرة ينقلها عمال نقل الأثاث في أسان يورت.

أتنقل بين الممر والسطح وأنا مشغولٌ بالفكرة، أهز رأسي للضيفة ذات الحول الخفيف في العين اليمنى وهي تقول :إنهم ينظرون إلينا كأننا قرباط، أغيّر مكاني حين تضيف السيدة، نحن أيضاً كنا نملك سيارة وأراضٍ وثلاثة منازل بالأشرفية، ثم أخرج حين تعتذر لتهاتف إبنها في ليماسول، أخرج وأصعد، يقول لي ياغمور :تعال إجلسْ هنا، وأجلسُ على القرميد الأحمر المائل، أراقبه يضبط لاقط التلفاز، أكاد أناديه صديقي، أكاد أستسلم بسذاجةٍ وأغمغم :كل شيء كان.. ، لكن أكتفي بأن أراقبه وهو يستند إلى المدخنة ويشغّل المثقب الكهربائي ليعود الستيني شاباً قوياً يمارس السباحة وينتزع الميداليات، يضيّق بين عينيه ويضغط، و حين يفلت برغي من تحت إصبعه يزفر بقوة، ويقول:

ويضحك ببطء وخبثٍ أبيض يذكّرني بروبن وليامز، أترك روبن وليامز يضحك وأنظر، نحو الأسفل، نحو السماء، أحس بالهواء يأتي من كل الجهات، عيناي واسعتان لكني لا أرى في الظلام، قلبي في الأربعين لكني لا أحتمل ربّاً حكيماً يؤنبني على كلّ خطأ، ولا شيطاناً يلقمني الأمل بملاعق اللذة، أنشغل بشيء آخر، وأجيب من يسألني أي شيء " لا أعرف" ، لا أقصد أنني لا أعرف، بل لأقول :دَعْني، أنتظر العاشرة لأسمع البيانو الذي يسبق حصة الموسيقى في المدرسة المجاورة ثم أحاول منذ أسبوعين أن أتعلّم البقاء في البيت، أكون الصغيرة تتقيأ ثلاث مرات في شراشفها الزهرية الموسومة بسندريلا وحورية البحر ثم تنمو بين روائح البيض والإقياء، أكون الأم تخفق البيض في المطواة وتشتم منذ الصباح، أكون الأب يخرج مسدسه الفضي عيار 6 ملم و يقترب بهدوء ليطلق رصاصتين من الخلف، وقبل أن يرى جسدها يلامس الأرض يشم رائحة البيض المقلي ويطلق رصاصة في فمه، فلا أكون سوى حلب في ليلة طويلة قبل أربعة عشر عاماً، يوقظني صفير القطار السريع في محطة بغداد قادماً من دمشق، ثم أرى آينشتاين يمدُّ لسانه لي فأمدُّ لساني نحو صورته الشهيرة في ملصق دعائي بأنحاء إستانبول، أمشي في جادة الإستقلال وأكون حذراً، أمشي ولا أقف إلا عند الموسيقيين الجوالة، أبتعد مترين كيلا أقبّل عازفَ ناي أعمى في فمه، أتقصد أن أؤذيه، لك ثدياي عذراء وأنت جميلٌ لكنك ستبقى أعمى، أبتهجُ لأغنيةِ

حبٍّ إيطالية من عازفة أكورديون دون أن أترك نقوداً في قبّعةٍ مقلوبة لأرى في اليوم التالي كم كنت وقحاً حين مشيتُ أمامها بظلٍّ سيءٍ طويل، لأنني أستيقظت اليوم أيضاً أغبط نفسي وأشفقُ على شابة صغيرة ترتدي الجينز الأسود وتقرفص سكرانة على أرضية الترامواي بين رفيقين لها في رحلة الثانية عشرة، أغبط الميتالية الصغيرة على خزامة الفضة في جناح الأنف، على القرط في جلدِ حاجبها الأيمن، أغبط حبيبها في وشم على الذراع، وأشفق على نفسي حين ألمح وجهي في بلور العربة مسطَحاً، لا ملامح له، رماداً بليداً دون شرٍّ أخضر يلتمع في العينين.

كوليطس

أنا محظوظ لأن الباصات ذات طابقين على خط أسان يورت، فالطابق العلوي الذي هرعت إليه أتاح لي أن أرى قبلة الشاب الأبيض للفتاة الأفريقية في محطة شيرين آفلار، لم يكن الشاب يكتفي بالقبلة على الوجنة مع إنحناءة الرأس العاطفية تلك التي نصادفها في محطات الميترو، أو القبلة الشهوانية التي تصوّت، ماج، بق، في الرحلات الليلية في عربات الترامواي بل كان الشاب يمسّد بيده اليمنى ما حول السرة ويمدّ اليسرى تحت حواف الشورت الجينز لتلمس جلد المؤخرة التي تشكل كما أظن أكثر الألغاز غموضاً في الجسد البشري، الفتاة لم تكن تتحرك وكأن الأمر يجري خلف أبواب مغلقة لكنها أستدارت وهي تضحك ضحكاً خفيفاً مشيرة نحو كلب يرفع إحدى قائمتيه الخلفيتين ويتبول، الكلب الأسود ذو الوبر الطويل كان يتنزه بسلسال معدني لامع خلف ساقي السيدة سازان أكسو، ليست سازان أكسو مغنية البوب ذات الشعر الكارو الأشقرالتي تضغط بأصابعها على أنفها لتصدر خنة محببة وتصيح :ديكات ديكات، أحذر أحذر، كما أن ساقاها لم تعد جميلتين في عيني زوجها السيد بولند أكسو الذي يراقب الجزء الشرقي من إستانبول من مكتبه التجاري في برج عال وهو يستمع إلى تبريرات أرول، أرول هذه الظهيرة كان مشتتاً ولم يعتن بالمكتب كما يجب بل كان منزعجاً منذ

الصباح من المستأجر الذي يشغل الطابق الأرضي من بيته في ضاحية أسانيورت، منحه منذ أسبوع كنبتين وشيفرة خط الأنترنيت مقابل عشرين ليرة تركية لمدة شهر لكنه جلب أصدقاء آخرين ليشاركوه المسكن، المستأجر حل عليه ضيوف من حلب فجأة في الرابعة فجراً، ألو ننتظرك في ساحة أسانيورت، عجّل، البرد شديد والصغار لا يحتملون، وأنا لم أحتمل أيضاً، خرجت مبكراً إلى ساحة أكسراي لأرى مهرّباً، عرفته دون أن يقول لي :أنا الذي أقف بين النافورة ومدخل الميترو، وعرفني دون أن أقول له :شعري طويل وأضع نظارات طبية، إقتربت منه وأنا أتذكر " في عزلة حقول القطن " لبرنار ماري كوليطس، حيث زبون وبائع وبضاعة ممنوعة، تقرأ ويهتز الهواء بين قدم الرغبة الخفيفة نحو الأمام وقدم الرعب الثقيلة في الخلف، وتقرأ ولا تدري إن كانت سراً أو حشيشاً أو دعارة، أأسف لأنني لم أجلب الكتاب معي، تركته في بيتي الذي لم يعد بيتي، في بيتي الذي أظنه لم يعد موجوداً، ثم تذكرت أنني لم أعد أنزعج من ذلك أكثر مما أنزعج من دخول مرحاض لا ماء فيه، أكثر مما كنت أنزعج من حرف الطاء الذي يصر عليه المترجمون المغاربة، كوليطس كوليطس كوليطس، أردد بينما أراقب هذه القبلة بين شاب أبيض من بلد ما وأفريقية على محطة شيرين أفلار، أحس أن كل شيء على ما يرام بينما أقرأ ما هو مكتوب على لوحة إعلانية طويلة وكأنه يخصني دون أحد آخر:

تشكورلر حياة.

الشمس مشرقة هذا اليوم، معي واحدة ممتلئة من بطاقات النقل الممغنطة وأرى أنني محظوظ لأنني أستقل باصاً ذا طابقين على خط أسان يورت.

مريشك

يبدو أننا سنلتقي هنا طويلاً ،

أنا أنتظر الرجل الذي يكذب عليّ :شعرك طويل، إربطه و ستبدو إسبانياً على الطريق،

مارشا لتظفر بمن يدفع لها مئة دولار خلال ساعة،

الرجل ليكذب علي وليمازح مارشا :عظيمة ٌروسيا التي أنجبت هذه المؤخرة.

تمر بجانبنا قرب النافورة، فيخاطبها :مريشك، لنر كم بيضة ستبيضين هذا اليوم، لكنها تبتسم و تنفخ بإتجاه باب الميترو، ولا تترك على بلاط الظهيرة تحت أقدامنا سوى شتيمة سلافية باردة تنال أصل الأكراد ويصطدم فيها السين والكاف في ساحة أكسراي.

منذ شهرٍ وأكثر،

الرجل يقول :إنتظر قليلاً وتطير من هذه البلاد،

مارشا تظل تمشي تحت شجرتي الصنوبر ثم تملّ وترضى بعشرة

دولارات،

وأنا ألمحُ طائرةً أخرى في سماء إستانبول وأصدّقه ليوم ٍ آخر،

أعرف أنه يكذب،

لكن يعجبني شعري مربوطاً من الخلف، إسبانيا أمضي على الطريق.

كاليميرو

فوق أحد الجبلين المحيطين بميناء جزيرة كاليمنوس، صليب كبير يعلو أشجار الصنوبر والمنازل المتدرجة حتى خط المياه .تدق أجراس الكنيسة ويبقى البحر راقداً في الحوض، جميلاً كحيوان أليف، أحد العجائز الذي يرتدي قبعة بيسبول ينزعج من البارمان كوستا ويشتمه بالعربية : شرموطة، يطلب بيرة أخرى ويكمل مخاطباً ماريا:

he is crazy

ماريا تلقي تحيتها (كاليميرو) بين الطاولات و تتجه صوب كوستا الضخم الذي يلتقط إناء مكعبات الثلج عن طاولة فورميكا وبعينين غاضبتين ينظر إلى العجوز ثم يبتسم مشيراً إلى الكرسي العالي الذي لا مسند له حين تدخل سائحة أميريكية تحمل على ذراعيها كلباً صغيراً، تسلّمه عشرة يورو و تستلم منه خوذة وقاية للرأس و تخرج لتمطي دراجتها النارية.

عند الظهيرة تدق أجراس الكنيسة مرة واحدة،

تصل يونانية شابة، بفم مضيء من أسلاك التقويم، تنظر إلى ثلة شباب يجلسون على الدرج الرخام أمام مبنى البوليس، ثم تنحني على سور معدني واطىء حيث يقف المركب lambro 57 لتراقب الأسماك.

ليس بعيداً من هنا،

على الساحل الآخر،

ثمة أحد ما على سفر، والبحر ما يزال وحشاً،

إن كان محظوظاً فسيصل برفقة خفر السواحل، بصداع في الرأس، بعينين زائغتين، لا إسم له، لا وثيقة معه، سيجلس على الدرج أمام مبنى البوليس، وعلى رنين المعدن، سينتظر، ويراقب الفستان الأزرق القصير الذي كلما هب الهواء يرتفع، يرتفع ويرتفع ليظهر الكيلوت النظيف وأحياناً خيط السوتيان الذي ربطته خلف الظهر بعناية شابة يونانية تنحني لتراقب الأسماك، الأسماك التي لا يصطادها أحد هنا في ميناء جزيرة كاليمنوس.

إصبعي الوسطى

حين تقترب الباخرة blue stars من رصيف ميناء أثينا بعد إحدى عشرة ساعة من جزيرة كاليمنوس، تشعرُ بعد نوم سيء أنك تبولتَ في بنطالكَ وأن جسمكَ زكزاكٌ متصلب.

على حجر التواليت تنشغل بعمود رفيع من الضوء يسقط بحنان على فخذك، على معصمك الأيسر، على خاتم الذهب، تريد أن تبقى جالساً هناك، تؤلمك خصيتاك، لكنك تعود إلى الشلة، تتناول حبتي باراسيتامول، وتقول : رأسي يؤلمني.

يقول أحدهم وهو ينظر إلى بطن النادلة، البرونزاج الصغير المكشوف بين قميص قصير وشورت جينز:

إنزل إلى شارع فيكتوريا.

في الميترو، ينشطر وشم ديناصور صغير على طرفي خيط السوتيان على كتف السيدة الخمسينية التي تجلس مقابلي.

أنظرُ إلى الجلد العجوز، إلى الحبر الأخضر القديم،

أنظر إلى الديناصور اللعوب حتى أرى عينيه، أنظر في عينيه حتى أراهما تتحركان،

أغفو وأصحو ثم أتذكر أنه لم يكن سوى أبو بريص مذعور تزحلق من شجرة الأنغيدنيا ووقع على رقبتكِ بينما كنتُ أقبلكِ في فمكِ، وربما على رقبتي وأنا أفكر بكِ، وحينها أخرجتُ لسانكِ من فمي ونطقت بشيء رطب، كنتُ أسبكِ وكنتِ سعيدة ، كنتِ تنادينني بالكلب وكنت أعوي سعيداً بيدكِ على ظهري، كانت شجرة الأنغيدنيا طويلة في الليل، فهمتُ منكِ أنه لا شيء سوى لساني الأعمى، يلهثُ في فمكِ، وفهمتِ مني أنه لا شيء على جلدكِ سوى إصبعي الوسطى، تنزلق ملساء تحت قميصكِ الذي سيكون على الأرض بعد قليل.

بين محطتي نيكولا و أمونيا،

أصحو وأغفو،

في عيني الديناصور،

أرى الثمار البرتقالية تلمع في سماء بيت كان لنا،

في عينيَّ

أرى الديناصور يلعب على جلدكِ،

وأرى جلدكِ يمتدُّ تحته كحقل شعير.

ليزا

كنت أشمئز من شعرها المتساقط الذي يحمله الهواء من الدرج إلى داخل الشقة وأقول":سنمرض من رائحة الكلاب هنا ."الآن أجمعه بكبكوبات صغيرة وأحملها إلى الحمام.

ما يسبب القرف في الحمام ليس شعر ليزا الأشقر بل شعر الحلاقة الذي يتركه الرجال في المغسلة وثلاث أو أربع شعرات منفتلة كأقواس صغيرة سقطت من مؤخرات الرجال أنفسهم.

ليزا كلبة صاحب البيت غير صاخبة، مدربة تماماً، غير شرسة ولا تشكل مصدراً للخطر، ترتدي طوقاً بنياً، قال لي صاحب البيت :تستطيع أن تصطحبها حتى غابة الصنوبر، لكن انتبه ألا تقع، أحياناً تندفع بقوة، استعمل الخناقة، اسحب الزنار بلطف إلى الخلف فتقف.

في pets villa العيادة البيطرية التي تشكل علامة الاستدلال على البيت الذي ننزل فيه بحي كيبسيللي بأثينا، ترى كل ما يخص القطط والكلاب والعصافير، كل ما يجعلك تحقق شعار المحل الذي يبدو كأمر،

take care of your pet:

الأقفاص، الأطواق، السلاسل، الوسائد، الأواني، الفراشي، الشامبووات، الحبوب واللحوم.

تقول المديرة :علم كلبك أن ينتظر ريثما تناديه أو امتدحه حين يكون مطيعاً، ثم تسهب وكأنها تقرأ من نشرة إعلامية:

الدرس الأول الذي يجب أن يتعلمه الكلب بحيث يسبق الحاجة لطرح الروث والبول بوضعه في الخارج بعد إطعامه وإروائه، كأول عمل يتم في الصباح، وآخر عمل في الليل، عندما يقوم الكلب بذلك أثنِ عليه بسخاء، أما عندما يقوم الكلب بذلك في المنزل، يؤنب بصوت واضح وثابت، ويوضع في الخارج.

فرابيه

بينما يحاول اليوناني الرقيق الذي أستوقفني في محطة كاتو باتيسا أن يترجم بإنكليزيته ما ورد في إنجيل يوحنا :أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء ، ... ، على بعد أربع خطوات منا، يقف عجوز يشبه تماماً المخنث الستيني في إحدى منازل فيكتوريا المعلّمة بلمبات كهربائية بيضاء والذي إبتسم ببرود و قال بلباقة قواد محترف وهو يطبق الباب ليلة البارحة :أونلي غريك.

بعد قليل، سيأتي شيار وعلي وحسن ومحمد، ونذهب إلى بار يبيع بيرة هنكن بيوروين ونصف، تقول مايكا وميغن " :إحسب حساب كل شيء ولا تصرف كل ما تملكه في البنك" ، بمشقة أفهم سرّ سعادتهما المؤذية، أنزل قليلاً في النشرة التي أعطاني إياها شابان كانا يمتطيان دراجتين ناريتين في أخرنون 330 ، وأتأمل الضوء " النوراني " في وجهي آخرين تحتهما هما دافيد و ناتالين " :إذا لم تدخر بعض المال، فستقف مكتوف اليدين حين تنشأ حالات طارئة كإصلاح السيارة مثلاً."

أقنع نفسي بأني أشرب من الحكمة التي يملكها اليونانيون فحسب، أونلي غريك، وأمتص بالشريمونة قليلاً من مشروبهم الفرابيه، وأترجم إلى الإنكليزية ما أفكر فيه، الحرب التي أصبحت نشيداً قديماً هنا، شأنٌ

خاص لنا، وأظن أن الأمر لا يستدعي كل ذلك، فالعجوز يكون سعيداً، حينما يكون كلبه سعيداً، والكلب يكون سعيداً حينما يقف أينما شاء و يرفع إحدى قائمتيه الخلفيتين.

في محطة كاتو باتيسا، ما يزال كلب العجوز المخنث يرفع إحدى رجليه ، يرخي العجوز القشاط في يده اليسرى، و باليد الأخرى يخرج كيساً بلاستيكياً أخضر اللون من جيب بنطاله، يرتديه كقفاز، ينحني و يلمّ عن البلاط، الخراء العفني للكلب السعيد، ثم يضب الكيس على بعضه ويخبئه في كيس بلاستيكي آخر.

يخفّ صوت المبشّر الرقيق حين يهب الهواء الذي يدفعه القطار بقدومه إلى المحطة، كنت أقول له " :موسيقى التشيلو والبيانو التي تعزف هنا "....توقفت ولأخفف عنه، قلت ما أذكره من إنجيل يوحنا " :إن أكل أحدٌ هذا الخبز يحيا إلى الأبد."

Gallo pinto

حين تلفُّ كلاوديا ساقاً على ساق و تترك شعرها غير مربوط، تبدو طويلة أكثر مما هي، وحين تضحك تبدو عيناها مدهشتين كفاية لترى كل شيء جميلاً.

يقهقه هيكتور، يقهقه بالصوت السوبرانو الشاب لكنه يفسدها بالنبرة الغاضبة حين يتهكم على اليونانيين، سأفهم منه أن أثينا مستنقع لا يطاق، تؤكد كلارا على ذلك لكنها تتحفظ لأنها تبدو غير ذلك، على الأقل حين تصل إليها ولأكثر من سنة، كلارا تتكلم بذكاء دون أن تجهد نفسها، تحب آرنستو ساباتو وماريو بنديتي و خوليو كورتاثار، وبينما نتذكر كتّاب الإسبانية الآخرين وأغلبهم يكون إسمه الأول خوان وما إن ألفظ) ثيسار باييخو(، تردد بإندهاش، ثيسار باييخو، يه، يه، و ثم تقرأ بالإنكليزية مفتاح قصيدته الشهيرة:

سأموت في باريس حينما تكون تمطر

في يوم لدي منذ الآن ذكرى عنه

سأموت في باريس ولست مستعجلاً

ربما في يوم خميس مثل هذا اليوم

تشغّل كلاوديا موسيقى مرحة من لابتوبها الخاص الموصول بمضخمات صوت كبيرة حين ننتهي من الgallo pinto ، الأرز بحبات الفاصولياء بجانب البيض المقلي والكاتشب الحار، الذي أعدته ريميه التي أتت متأخرة وغادرت مبكراً، ريميه تملك وجهاً مؤمناً ذا خدود كراسي، أخمّن بينما تتحدث الإسبانية من أنها بعدما تغسل وجهها مثلاً ، تهدأ للحظات أمام مرآة التواليت، و تنظر للحياة تسيل على جلدها كرغوة ،ثم تنتبه أنه ثمة ضيف أو صديق أو أحد من العائلة ينتظرها، فتبتسم مرة أخرى وثم تعود.

أخطئُ عندما أقول أن أثينا قديمة وشهوانية وحسب، وأجازف إذا قلت أنني أحببتها أكثر من دهوك، ولا أدري تماماً ما الذي يعنيه تماماً أن أحب مدينة أخرى سوى حلب.

بدأتُ ببيرةِ أمستيل مع جوان الذي سبقني إلى هنا قبل عامين، وأنتهي معه الآن في سجن صيدنايا حين أُغمي عليه، وأكاد أشم الروائح الكريهة التي تصدر عن البطن المنتفخة لنزيل مصاب بالسرطان معهم.

في الثالثة بعد منتصف الليل نقول :باي، يبقى هيكتور وحده، تقول كلارا فيما بعد أنه سيسافر إلى الأوروغواي ولن يمكث هنا أكثر من شهرين، كلاوديا سترافقنا حتى السوبر ماركت، تضحكُ ضحكةً خفيفة حين تعلن أنها تشتهي أن تتناول الآيس كريم، و ثم في ثوان تُغلق الباب، تحلُّ شعرها الذي ربطته حين قامت عن الكرسي، وتدخلُ معنا في قلب الأسانسور.

بروفة

أخمّن مرة أخرى هذا اليوم وأنا أفكّر كم السينما تبدو قبيحة في الخلف.

قبل الظهيرة بساعتين بدأ الصراخ من البناء المنخفض الطويل الذي نطلّ عليه من الطابق الثالث، وحين رأيتُ مكبرات الصوت الضخمة المعلقة عبر السقف المتحرك المفتوح جزيئاً عرفتُ فيها الصالة التي نمرّ من أمامها في الشارع المتقاطع مع حيث نسكن في شارع فيكتوريا، وفيما كنتُ انتبهُ إلى الأصوات الثلاثة تصرخ والتي تعود ربما إلى حارس السينما وعشيقة وقد ضبطتهما زوجته، جاء المصلّح وبدأ يفحص الأنابيب في المطبخ، ثم قال إنه ينبغي أن نتصل بمالك البيت.

أفراد الشلة كانوا على القناعة أن طريق المطار سينغلق خلال أسبوعين، كانوا عائدين من تاجر يعمل بالشحن، قال أحدهم :أنه تابوت، فيما ردّ آخر بأن الصندوق يُحتمل والمسافة ليست أكثر من ثمانية عشر ساعة، ثم أخذوا إسفنجة من تلك التي ننام عليها وقارنوها بدابو المازوت الذي سيختبئون فيه حتى إيطاليا، فالأبعاد تقريبا هي نفسها متران طولاً وسبعون سنتيماً بالعرض أما الارتفاع أربعون سنتيماً) أعلى من الأنف بأصابع (وقام أحدهم وجلب علبة الشطرنج ورفعها عمودياً عند رأس

الإسفنجة لنتخيل الدابو تماماً ثم أخذوا يتمددون على الجنب وكأنهم في الشاحنة التي ستدخلهم في الباخرة سراً.

يخاطبني المصلّح باليونانية وكأنني أفهم عليه تماماً، خمنّت وتوصل هو إلى ذلك بالفحص أن انثقاباً حدث في أنبوبة داخلية، لذلك بدأ الطرق، ثم توقف وقال اتصل بكوتراس، اتصلت بكوتراس وناولته الموبايل وبدأ يخاطبه ب :تاسو، تركت الموبايل معه، وعبرتُ الصالة لأنظر إلى السقف الرطب للبناء المنخفض الذي مقابلنا، كان كالحاً وقديماً ومتشققاً يحجب ولا يحجب تماماً ثلاثة أصوات عالية، خلفي الأصوات التي أعرفها، وأمامي كان صراخاً يهدأ ويعود بعد عشرين دقيقة وبالإيقاع نفسه، كان صراخاً مدوزناً ويتقنه شكسبير لكنّ الممثلون يفلتونه في البروفات، أخمّن إذن وأنتظر، أنتظر من سيردد باليونانية بعد قليل:

يداي من لونك، لك يخجلني أن أحمل قلباً أبيض جداً.

fuck

أقول لسبيروس :الحرب لا تخلّف سوى العبيد، فيقول :والندم، أقول :أنا أحبّ، فيقول :أنت تتألم، أقول :لقد أخطأت، يقول :سيسامحك الربّ.

يدلّنا سبيروس على أفضل طريقة لممارسة العادة السرّية، وإذا استدعى الأمر، يدلّنا على بيوت فيكتوريا ذات المداخل الواطئة و المضاءة بمصابيح حليبية إجاصية الشكل، ويوصي فينا إيرينا التي تترك قُبلاتها الإرجوانية على الكتف والظهر، وتحتضن أجسادنا بحميمية في مهنة لا تعترف بأية حميمية.

أستطيع أن أحكي لسبيروس عن بيير باولو بازوليني الذي بلغ في (سالو (أقصى ما يمكن لصانع أفلام أن يصل إليه، فنقل ماركيز دو ساد عبر 120) يوم في سادوم (إلى أرض شاسعة، لا حدود لها وليلقى حتفه بسببه على أحد شواطئ روما في عام1975 ، ثم أستطيع أن أثرثر ما أمكن عن السلطة التي تخلق المسوخ، وعن آخر فيلم رأيته، وأنتبه أن سبيروس يصغي بكل إهتمام فأقول :كلاهما كافكا ولكن داعر، وفيما هذا الصربي داعر وغاضب، يبقى بازوليني داعراً و حكيماً.

سبيروس يتقن العربية و الإنكليزية و اليونانية ولغات أخرى، وحين يكتب أحدنا على الأيباد (fuck) ينطق كقاموس آلي :مارس الجنس مع،

ضاجع، و حالما يستفسر مصطفى، أستاذ اللغة الإنكليزية محاولا أن يحرجه، وماذا تعني بالضبط؟ يقول :إنها تعود إلى الحقبة التي كان للملك حقّ الممارسة الأولى مع نساء المملكة وتحديداً:

Furnished under the conseorship of the king

ويردف ودون أن يضيع في الترجمة:

مدبّرٌ وفقاً لمشيئة الملك.

توينتي يورو

لا ينام شارع فيليس في أثينا، بما حكمة ذلك أن الشهوة لا توقيت لها ولا تأخذها سنة، لذلك تستطيع متى شئت أن تدفع باباً من تلك التي تعلوها اللمبات البيضاء لترحب بك سيدة في الخمسينيات غالباً وتبدأ باللوغو الشهير:

Normal sex, no kiss, no ass

ثم تنادي باسم من تلك الأسماء المصقولة التي تملك رنين الذهب في الليل لتأتي من ترتدي كلسوناً خيطياً زاهياً مع السوتيان أو بدونه، تخطو بحذاء ذي كعب عال لحظات تقرر خلالها أن تغادر مكتفياً بالفرجة أو تبقى لتدخل خلفها بعدما ترفع السيدة الخمسينية كفيها في الهواء وتضغطهما مرتين فارجة بين أصابعها:

توينتي يورو.

لم أكن بحاجة إلى حجة أخرى لأتأكد أنني لست سوى الجوكر الذي بالأبيض والأسود ةالذي يرمى جانباً حينما يقتني أحدهم ورق اللعب فيما يحتفظون بالآخر الذي يلمع ويغمز ويتشقلب ويحل مكانه أية ورقة أخرى.

ليلتها كنت أنتظر مع ثلاثة شباب في إحدى تلك المنازل تحت الأضواء الحمراء الخافتة، دخلت من كانت تدعى إيرينا ربما، فخرج إثنان على الفور، وبينما كنت متردداً أأدخل أو لا، قام الأخير منا وتقدم نحوها بثبات، لف خصرها العاري بيده اليسرى وثم بسبابة يده اليمنى سحب خيط الكلسون الرفيع ونظر داخله وقال كمن وجد ضالته: أوكيه، واندفع إلى الغرفة الداخلية معها، وحينها ميزت فيه، صديقي بعدما سأفقده، عدوي حينما كنت لا أعرفه، وحينها أيضاً لم أعترف بجوهره النادر بل وأعليت من شأني، ظللت أحلل بتفكيري المريض نفسه، قلت لا بد أنه قواد هنا، وأن الطعم الذي يلقيه في ماء تفكيرنا، أن يقدم عرضاً سوقياً بالإتفاق معهن ليغوي الزبائن وليحسموا أمرهم معلنين أشد اللحظات ثورية: المجد للقضيب، اللعنة على عشرين يورو.

العدو هنا

رغم كل شي، رغم الفرابيه والغرافيك وكازانتزاكيس وسقراط، تظن ماريا أن عقل اليوناني جزيرة.

تمدح كفافيس لكنها تتهكم على البرابرة":العدو هنا"، وتشير إلى حيث يصطدم كعب كأسها بطاولة الفورميكا، " إذا أردت، ".. تمرر كفها على ذراعها الأيسر،" أهرش بأظافرك حتى توقظ العدو الذي يرقد تحت جلدك."

يسقط الحديث عن الحرب مكتوماً مصمتاً، سقوط قبضة يد على عمود من الرخام، سقوط قطعة نقد معدنية على التراب، وأفكر ببراءة بشيطنات هذه الثلاثينية التي تسرح شعرها القصير كرجل، العين حقا لا تلمح خلف الرأس، اللسان لا يستطيع أن يلحس الكوع، والأير مهما طال من ثلاث إلى سبع سنتيمترات، كما يدعي الأطباء في النشرة الدعائية أمامنا والتي تصور إمرأة تمتطي صاروخا "هو القضيب نفسه، فلن يستطيع أي رجل كان أن ينيك نفسه.

ماريا، ربما تمر من أكروبوليس أو آخرنون، لكنها لا تبالي لا بالسياح الذين يقتفون أثر الآلهة في تذكارات وبارات وموسيقا على الطريق، ولا بالمهاجرين القدماء والجدد الذين يديرون أعمال التهريب في عالمهم

السفلي بحنكة، بيتها في طرف بأثينا لذلك يهمها أن تصل إلى محطة الميترو دون تأخر، يهمها أن تتناول البيرة بمزاج جيد، وأن تنزه كلبها في الليل، وأن تكون سماعاتها أوريجينال وبطاقة الأنترنت مثقلة بالجيغايات، وحين تعرف أنني من حلب، تنفخ ولكن ليس بانزعاج، وثم بينما أحاول أن أقول كيف وصلت بالبحر، وكيف سأصل إلى النمسا عن طريق مكدونيا وصربيا، تقوم من محلها، أنتبه حينئذ أنها أول لحظة نتوقف فيها عن التهام البيرة ورقائق الشيبس، تقف خلفي، وتضغط بظفر إبهام يدها اليمنى في نقطة أعلى ظهري وتقول :هنا، أفكر :ربما، تضغط ماريا، أقول :لا تلمحها عين، نعم، تضغط، لا يصل إليها صاروخ مهما طال، ولا يمسها لسان، تضغط ماريا، أقول :لم أحددها بأصابعي مرة واحدة، ولم أدركها بقلبي الكلب، أديري إبهامك وأنت تضغطين لأتأكد، وتضغط فأرى أنه لا عظم هناك، ولا غضروف، أو وتراً جلدياً، ثم أرى ماريا تضحك، وإصبعها تدخل عميقاً في الجلد الرقيق، وأغمض عيني فأرى بياضاً واسعاً، حفرة عميقة تقوم منها الذئاب، تخرج كالنمل لتعوي بمرح، وأنا لا صوت لي، لا صوت يخرج مني لأقول :يكفي ماريا، ماريا يك...

وفي الليل سأرى الصبي الذي يزعج كل من في المبنى، سيطلب مني شطيرة جبنة ومرتديلا، أقول: Ok وأمشي نحو المطبخ،" لكنني أريد التوست محمصا"، أرسله لأبيه وأوصيه:

قل لأبيك أن يربط العجل جيداً،

وثم أعود إلى الممر، أحيَّ جارةً لي من منغوليا تقلي البيض وتغني، وأفكر في العلّة المحتملة في خصور نساء منغوليا، ألتفت يميناً وأحي ظل حصانها على الأرض، أمشي ولا أنظر للأسفل كي لا أرى خيط دم يخرج من تحت كل باب، وثم من الباب اللامرئي في الظلام، من الباب الذي أتركه مفتوحا للآخرين، من اسمي، أتسلل إلى نفسي لأقتل ما لم يمت مني،

أجهل كم أخطأت وكم أخاف لكني أعرف كم ندمت وكم أخون،

أجهل كم أنا جميل وشرير وأدرك كم أنا طيب وقبيح،

أجهل متى خرجت من حلب لكني أعرف أن أعود متى أشاء،

وأعرف الطريق الذي أوله هدهد على شجرة فستق وآخره موشح في حنجرة مؤذن أعمى يخطو نحو جامع زكريا، وأظن أنني كلما نزلت إلى

شارع بارون سأرى شاطئا في فم سينما أوبرا قبل أن ألمح أجاثا كريستي على شرفة الغرفة ٢١٣ في الفندق القديم،

ستقول :أصعد،

فأقول :أخشى أن أحبك،

ولكي لا يغار السيد مالون حين يفاجئنا سأناديك أمي،

وسأمازحها :أمي لو كنت أصغر قليلاً وغير متزوجة بأبي لما فكرت بإمرأة أخرى،

لكن ألم تكن في القبر يا بني وكنت تناديني في الليل :دفنوني حياً ولم أكن قد مت بعد،

ستخطئين أمي كثيرا حتى تنتهي الحرب، أنا الآخر، ابنك الذي لن ينجو من يدك ولن تشفيه سوى يده، وستبتسم الإنكليزية وترى أنني سأبقى شاحباً ما دمت ممتلئاً بأسرار خضراء، أحدثها وهي تعد الشاي عن الأشباح تتلصص على رجلين وامرأتين عراة يقبلون بعضهم في قاعة من المرايا، تحدثني وأنا أسهو عن جريمة في قطار الشرق، ثم تضيف:

أنت مصابٌ بمرض الحميمية،

وينبغي أن تأكل جيداً وتتحمم جيداً، ينبغي أن تمارس الجنس مرة في اليوم وثلاث مرات في يوم الأحد،

وأنه ينبغي أن أقلل من البيرة والبهارات،

من المخلل وأغاني الحب،

وأن أرسل ما أنوي إرساله للآخرين لنفسي،

وألا أدنو من الآخرين إلا لأبتعد عني قليلًا،

وألا أصدق من الحكايات إلا خواتيمها، أن أكذب في كل شيء،

وأترك الصبي يطلب من كل عابر أن يعد له شطيرة جبنة ومرتديلا،
وأترك الذين يخذلونه يكذبون عليه عن عجل ترك في البرية،

وأن أرشي نفسي بالأمل،

وأعود إلى الممر الذي أعرفه، لأمشي حتى أرى الباب الذي لا ينغلق على أحد سواي، ولا ينفتح لأحد سواي، حتى أرى الباب الأخضر في الظلام، حتى أرى اسمي،

ثم أترك الغنائيين يتأرجحون على غصن الفقد من شجرة الحياة،

وأعلل:

رجال منغوليا يحمحمون ولكنهم لا يعقدون أذرعهم حول خصور نساءهم بقوة،

وأكمل إلى ممر بني معتم،

أمشي وأصغر حتى أعود صبياً يزعج كل من في المبنى، وحين سيخدعني القادم بالعجل، سأقول:

لا شجرة لدينا ولا وتد في الأرض لنربط العجل، وثم لا عجل وأبي ميت منذ أول الحرب،

فإما أن تعد لي شطيرتي،

أو دعني ألعب وأمض في الممر،

أمض نحو اسمكَ الذي نكرته مرة، ولن تراه إلى الأبد.

إن كنت صديقي حقاً

ماريا لا تهدأ، تجولُ بين الممر وباب الغرفة التي وصى الملك ألا يدخلها الأمير الصغير، تفكّر في زهرةِ عباد شمس يمكن أن تنمو في البحر، تفكر في الأرنب بين ساقيها، تقول :سأنتزعُ العشبة من خيال كلكامش و أطعمه ذات يوم، تعتزل في المرض الذي ينتابها بين الأربعاء الذي لا يمضي والأحد الذي لا يجيء، ماريا لا تدعني أقرأ كما يجب، تقول :قبّلني من أسفل الظهر وسأوصلك إلى أكروبوليس لتعرف كم هي واسعة ٌ أثينا وكم هي جميلةٌ في الأعياد، أقول :القبيح والطيب والحالم لا يتفقون على شيء، يرتبكون في صحراء الأبد ويتنازعون فيما بينهم على فطيرة، لذا أتصل بسبيروس، سبيروس العظيم، سبيروس الذي لا ينام، لا أخشى أن أشتكي له، أخشى أن يكون نائماً، حين أستيقظ أقول سأتصل به في المساء، ما يزال لدي وقتٌ لأصغي لمن يكذب علي، وفي المساء أقول سأتصل به حين يستيقظ، أخشى أن تشوشُ عليّ الأشباح ما سأقول، ويشوّشُ عليه الأموات ما سيسمع، يقول سبيروس : الحالم سيموت، وأقاطعه مستدركاً :لكنه مات والحربُ لم تكن قد بدأت، وقف في الطابق الخامس ونظر للأسفل، وفكر :مِنور هذه البناية يمكن أن يُستعمل لأغراض أخرى، كان الناس في الخارج ما يزالون ينزلون إلى المنشية القديمة ليموّنوا الباذنجان والثوم للشتاء، كانوا يمرون من ساحة

سعد الله الجابري وكان بعضهم يرى الحياةَ خضراء كما في الكتب، وبعضهم ينزل إلى المراحيض العامة قرب بناية الأزبكية ثم يجدون أنفسهم في متاهات تحت الأرض، وكان ثمة دمى معلقة في السقف، وكانوا لا يبصرون النور مرة أخرى فيتصلون بمن ترك هاتفه هناك فيرد عليه من يدّعي أنه بورخيس، و آخر يدّعي أنه دانتي لكنه يقلّد أديب الدايخ و يبيع الجوز والفستق في سوق الميدان، ولكن لم يتجرأ أيّ شاذ ليدّعي أنه كافكا، كافكا كان مريضاً، لم يكن يؤمن بمن يسمي نفسه سبيروس، لكنه كان ينتعش محموماً في رسائل ماريا، وكان يقول لماريا : لا أحب براغ ولا أحب أبي ولا أحب اليهود ولا أحب البرد ولا أحب ...ثم يسعل حتى تدمع عيناه، عينا الموت الجميلتان، ويقول لصديقه الذي يقرأ القصص ويصبو إلى أرض الميعاد، انتبه لابني الذي لم يولد بعد، انتبه ليدي حين لا أقدر على مصافحتك بها، وإن كنت صديقي حقاً، اقتلني، أو أحرق كلّ شيء، افعل أي شيء لكن لا تتركني وحيداً بين هذه الأسماء.

رجلٌ أسود يحدّق في رجلٍ أبيض

سيحبك، لا تقولي له :ما بك؟

اتركيه هناك وامضي.

تتدبري شؤونك، تسوقي جيداً، انتبهي هناك تنزيلات على ملابس الشتاء، لا تنسي جهاز تحكم جديداً مع بطاريات أوريجينال، لا تغني لأحدٍ عن الحب والجبل البعيد، اعملي كبغلة، ادخري جيداً، قولي لأمك :أشعر أني عجوزة، كبرت أمي وأصبحت لي أمراضي، لا تلومي أبيك لأنه يدخن ولأنه كان يغيب عن البيت وأنكم كنتم تتشاجرون وتكبرون في غيابه، أخبريه وأنتما في المطبخ أن يحكي لك الحكاية نفسها، كيف قلع طبيب في الشام بظفره القشرة عن ندبة التهاب الدرقية على عنقك، وكيف أنك تبولت في ثيابك حين أخذك إلى مدينة الألعاب في عيد الأضحى، في عيد ميلادك التاسع، لا تكثري من الجلوس أمام اللابتوب، غيري عاداتك، غيري اسمك، اكسسواراتك، خط حاجبك، ماركة فوطك، نوع العجين الذي تستعملينه في نزع شعر ساقيك، قفي أمام المرآة وانزلي البيجاما ورددي :أنا أملك أجمل مؤخرة في العالم، اصطادي أزعراً، مشرداً، مخموراً ومارسي معه الجنس واتركيه يشخر لترفسيه إلى الشارع في الصباح، احملي بطانية وابريق متة وتمددي أمام التلفاز وافرحي

بجهاز التحكم الجديد، شاهدي ريبورتاجاً عن تكرير النفط، رقصاً على الجليد، كاميرا خفية في مطعم، قطيع ذئاب يغافل قطيع غزلان، فيلماً بالأبيض والأسود يجلس فيه زنجي في مكتب بهوليوود، ويتكلم بغضب مخاطباً رجلاً أبيض يقف أمام آلة كاتبة :أنا قط حقير من شوارع هارلم، وأنت يهودي من الطبقة الوسطى، ينبغي أن نَضرب قبل أن نُضرب، وثم يرفع زاوية شفته العليا قليلاً وبخفة في حركة ازدراء واضحة، ويكمل : نورمان لطالما كان لديك شيء لتحتفظ به بينما أنا لم أحظ بشيء أبدا لأخسره، اغفي قليلاً، لابأس، لكن لا تنامي بمثانة ممتلئة، لا تنامي أبداً، وإذا نمتِ ابتعدي عن المدفأة، أديري ظهرك للبحر في الميناء وللحرب في حقول الزيتون، وانظري، انظري إلى السهول، بعيون مغلقة أنظري حتى تبصري رجلاً صغيراً بحجم الإصبع يتمدد في ظل عباد شمس وخلفه أكوام القش، لا تقتربي منه، ولا تنفخي عليه، اتركيه هناك نائماً، وامضي،

لا تقولي له :ما بك؟

سيحبكِ.

سوليداد

كنت أنكح ميتة .كانت تنوي أن تفر من مجازر ستحدث، وكنت على وشك أن أصبح قاتلاً وأتذكر القصص كيلا يخطفوني، وكنت أظن أن خوفها مني سيزول، وسيزول خوفي منها إن تركت كفي بين الثديين والكفن، لم يكن لها اسم بعد ثم صار لها كل الأسماء، وكانت تفتح عينيها البيضاوتين كلما سقطت فوقها، وثم تظل تضحك حتى أستيقظ، فلا أشم سوى رائحة الخطيئة، وأبقى في مكاني لأرى حيوانات ليلية تصعد سلالم الدرج وتنبش في أكياس الخبز، ولأرى نهرا قريبا يجري بين أشجار القطلب فيما كنا نظنه أمطارا تهطل منذ يومين.

يمر الأحد أيضاً وأنا أغبط الكلاب تنام مطمئنة ولا تفكر في الرب، تغضب وتنبح، تجوع وتنبح، تخاف وتنبح، وكنت أقرأ ابن سيرين كيلا أشعر بالندم، ولأعرف كيف تولد الحدود من الحروب، وكيف تنبت الغابات بين الدول وثم كيف تنشب الحروب على الحدود، كنت أنكح ميتة، وثم كلما كنت أنكح إمرأة تحيا معي، كنت أعرف أني ميت، وكنت أشتاق لشتاء حلب فيما مضى، كان لك شعر أسود طويل وكنت تخفين كسراً قديماً في إصبع من أصابع يدك اليسرى، تراوغين وتتظاهرين بأنك تضغطين على منديل كلينيكس وثم تقولين ونحن تحت شجرة :انكحني في رأس السنة لألد لك في أيلول إبنة تشبهك، وكنت أصدق كل ما

تقولينه، وأظل أمسد فرجا في رواية قديمة حتى يترطب لساني، وأرى فم الوردة المظلم وأنادي :سوليداد، وأردد سوليداد حتى لا تعود سوليداد سوليداد، ولا تعود تعني اسماً، مرضاً، كلمةً، تعني لا شيئاً، ولا تغدو سوى موسيقى جناحين، ظلاً غريباً لطائر أليف يحوم حول شجرة قطلب حيث تنام الكلاب مطمئنة، ويجري نهر صغير قربنا فيما كنا نظنه أمطاراً تهطل منذ يومين.

والريحُ بريّة

ونظرت لأرى اسمي الذي هو اسمه، لكني لم أر وجهي بل وجهه دون مطر يهطل عليه، ثم مشينا حتى فم الكامب، توقف وفتح فمه ثم قال : أنظر، نظرت، كان الفم مظلماً، أنظر، رأيت لساناً يهبط ويعلو، رأيت أسناناً بيضاء، أنظر، نظرت حتى رأيت نجمة تلمع.

قال :لقد رأيتُ الموت،

كانت يدكَ في الماء، يدي كانت في الدم.

كان قد حلق باكراً بشفرة جاهزة، وكان يربط شعره برباط بني نظيف ويضع حلقاً فضياً في أذنه اليمنى، لكنه كان يتذمر من النباح الذي ظل ينبعث طوال الليل من صالة قريبة حيث تجمع الكلاب في أقفاص كبيرة استعدادا لمعرض أوربي سيقام بعد أسبوع،

كنا في المساحة الافتراضية التي هيئت كمطعم في ثلث المهجع الطويل الذي يضم أربعمئة سرير وطاولتي بينبون وكنبات و ثلاث طاولات صفت عليها أوراق اللعب وألف قطعة puzzle (تماماً كما في دوغفيل لارس فون تراير)،

مد يده إلى شطيرة مرتديلا وأخذ يلوكها مما بدا فمه أشبه بمؤخرة دجاجة تنغلق وهي تبيض، وظل يتجاهلني وهو يبلع وثم وهو يدلق عصير الزقوم وراءها،

قلت :هل تعرف نينا سيمون؟

قال :توهم ما شئت.

كنت أتكلم عما تفعله الأغاني، وعن الخريف والحرب، الحرب، الحرب، وعن أحد ما سينجو لأنه كان نائماً، وعن امرأة في الثلاثين تتطوع لمساعدة اللاجئين، سوداء لكنها هولندية ولدت هنا لعائلة هربت منذ خمسين سنة أيضاً، وبسبب الحرب أيضاً، كانت مرحة وهي توزع وجبات الطعام في مطعم الكامب، تنظر إلي كثيراً وتترنم بموسيقى جاز، لكنها اليوم صباحاً كانت قد....

قاطعني بوضع كفه الغليظة على فمي وقال:

لا تستعمل التواليت حين يكون القطار في المحطة.

وأردف:

حين أعود سأسمع ترجمتها منك إن كنت رجلاً.

اعرفوا جيداً

في المنزل الذي قضينا في طابقه العلوي ثلاث ليال على حدود صربيا مشتركين مع كلبة تشغل طابقه الأرضي وجرائها الستة، عثرت بين مخلفات الذين سبقونا على دفتر يوميات من تلك المجلدة بجلد كحلي والتي كانت توزعها المؤسسات على موظفيها مطلع كل سنة جديدة دعاية لبرامجها وهنا يدعى :برنامج تحديث قطاع المياه – حلب، وتصورت لوهلة أنني على عتبة لعبة من الألعاب المنتهية الصلاحية التي يتفنن بها روائيوننا حين يعثر البطل مصادفة على مذكرات سجين سياسي ليبدأ التعذيب السادي الذي لا يسلم منه أحد وصولا إلى القارئ البائس.

يبدو أنه كان خريج كلية الرياضيات أو الاقتصاد، وأنه كردي عمل لفترة في أربيل وكان يتبع دورة في الإنكليزية تمهيدا لإقامته في أوروبا، فالدفتر يبدأ بتلخيص للمبادئ الأساسية للإحتمالات، التجربة والإمكانات والاحتمال والحدث، ثم تليه فصول من القواعد والجمل الأكثر استعمالا في الحياة اليومية مثل:

Do you want to change the room?

ثم تتابع جداول لنتائج لعبة الورق 41 التي يبدو أنه كان يتسلى بممارستها مع أصدقائه المذكورين في الجدول :ريزان ومنان وآزاد.

في الصفحتين الأخيرتين يسجل على الهامش أرقام الموبايلات والتي تعود لدول عبرها :العراق، تركيا، اليونان فيما المتن يتركه لما يشير إلى أنه كان يعاني اجتراراً عاطفياً لا يخلو من الإنكسارات:

–الحب أن تصغي لها مهما كان حديثاً تافهاً.

–المواقف خريفُ العلاقات.

ربما كان يعترف لنفسه أو يقتبس لكنه كان يرى نفسه بالتأكيد نبياً صغيراً يخطب في ملأ ملهوف للخلاص:

–لا تهتموا كثيراً، لا تعاتبوا أحداً، ولا تركضوا خلف أحد لتذكروهم بوجودكم.

ثم ودون أن يعرف أنه يقف وحيداً على عمود من الخراء، يكتب مختتماً متوجهاً للمعذبين أسفل جبله المقدس:

–اعرفوا جيداً :من يحب لا ينسى.

كبوت

يبتسم ستيفين بمهنية تزعج أحياناً حين يقترب منا وهو يدور في قاعة الطعام حيث نلعب الورق في الركن الذي يضم المقاعد الجلدية جوار النافذة.

وبينما يرتب الأشواك والشكاكين والملاعق الستانليس جانب صحون البورسلين، ويوزع الخبز المقطع في سلال القش، وثم ينزل إلى المطبخ في الأسفل، يلقي أحدنا بمفردتين جديدتين في الإنكليزية لنتعلمهما، Fizz أي جدول من الفقاعات يسيل، وTantalize وتعني تقريباً أن تمني النفس بالآمال الكاذبة.

ليسوا سجناء لكنهم منذ أسبوع ينتظرون ويمشون في الممر

وكأنهم شخص واحد.

ينفخ أحدهم على عرف طير، فيحلمون جميعاً بأنهم لم يتزوجوا بعد

وأنهم يطوقون أعناق الهدهد بخواتم من الذهب.

بحزن خفيف نراقب الخريف القريب منا في الخارج ثم نرفع كأس البيرة الكبيرة المكتوب عليها: Bavaria

ونصغي إلى السخافة نفسها التي تشكلت كقناعة لدينا في قاع هذا الفندق الريفي والتي لو نطقت بمهابة لتحولت إلى حكمة مسلية:

لا ألذ من البيرة على الجوع.

بلغراد ليست بعيدة من هنا، وفي يدي خمس ورقات دينار من الطرنيب وختيار السنك وسبع ورقات متتالية من القوبة تبدأ من الأس مما يعني أنه يجب أن أغامر وأطلب الكبوت منهياً اللعبة، ومما يعني أيضاً أنه ينبغي أن متخفين عن البوليس ريثما ننتقل إلى الدول التي نتحدث عنها كوجبات طعام، نفضلها أو لا.

عبر ليل هنغاريا سننتقل إلى النمسا أو إيطاليا وكل ذلك سيكون لاحقاً، فيما بعد، فلقد جاء ستيفين جاراً ورائه روائح الشوربة وشرائح اللحم والبطاطا المسلوقة.

نتحرك إلى أماكننا حول الطاولة ونصدق ستيفين وهو يبتسم لنا لسكتنا ساعات أخرى قبل أن نفكر مجدداً في المشي عبر الغابات، في دوريات البوليس المباغتة، ولنفهم تماماً ما الذي تعنيه بالضبط أن تعذب أحداً بشيء يرغب فيه بقوة لكنه يبقى صعب المنال.

ذات الشعر الذهبي

صعدت ذات الشعر الذهبي إلى السرير ووجدته ملائما .تكرر نيروز وهي تستند على جدار قرب المبنى رقم ٨ وتحكي على القايبر لإبنتها التى ما تزال في حلب ولم تلحق بها بعد.

حين اعتصمنا أمام البلدية ضد الحرب، كنا أقل من ثلاثين شخصا وكانت تمطر على زقوله، جاء المحافظ على دراجته وألقى خطابا في خمس دقائق ودون ميكروفون قبل أن يستدير دون مرافقة سيارات ويقطع الساحة كأي جنتلمان .نحن من صفقنا له، نحن من رفعنا فوق رأسه مظلة .أشجار البلوط كثيرة ولا سناجب لتأكل كل هذه الثمار التي تسقط على الأرض .أكاد أقول أن كل شيء على مايرام، وكل شيء يخضع لعناية فائقة مثل البقر السمين النظيف الذي رأيناه في طريقنا يرعى في حقول خاصة واسعة وبكسل .تقول السيدة الخمسينية التي جاءت من أمستردام قبل عشرة أعوام إلى هنا، والدة كارولاين والأخرى اللتين تعزفان على الگيتار، مثلها، وتغنيان معها في حفلات بسيطة تقام على مصطبة ما في مراكز اللاجئين يوم الأحد :الرجال الهولنديون لا يفكرون بالعائلة، رجالنا لا يفكرون إلا بأنفسهم ومشروبهم والماريغوانا .تبدو كاثوليكية مقتدرة لكنها تنظر بشكل حاد بينما تتحدث بألم وهدوء، وتملك ليس قليلا من الحكمة التي تعينها على الغضب.

حين وصلنا غنت كارولاين :ابقوا هنا ولا تعودوا، وحين سنغادر المدينة لاتنسى أن تأتي لتتمنى لنا حظا طيبا.

صعدت ذات الشعر الذهبي إلى السرير ووجدته ملائماً،

لكن ماذا ستفعل بطنين الريح في الأذنين،

ماذا ستفعل بنجوم صغيرة تلمع في الظلام كلما أغلقت عينيها،

ماذا ستفعل للذكريات.

5

تحت جفن الميّت نظرة

٢٠١٦

مثلما أحببتكِ كي لا أقتلَ نفسي، أتحدّثُ عنكِ كي لا أقتلكِ.

سِدرةُ المنتهى

كانت قدماي باردتين لكنني نمتُ جيداً، تكلّمت ُ قرب أذنكِ، أطبقتُ بفمي على فمكِ، حجبتُ وجهكِ بعظامِ كتفيّ، كنتُ أغلقُ كلّ ما لكِ حتى تنفرجِ ساقاكِ على آخرهما وتنفتح عينكِ العميقةُ عن ماء الحياة، عرفتكِ لحظتها، كنتِ سرّكِ، كنتِ حرارة اسمكِ، قلّة نومكِ، جوعكِ حينما يلتبسُ عليكِ يأساً، غنيّتِ :أنا ثلجٌ يا حبيبي، أنا ثلجُ جبلٍ أحمر، كبِرتُ في يدكَ، ولم أثرثر لأحدٍ سواكَ، أريدكَ في داخلي، لا تتركني في ليل الجُمعة ولا تدعني انتظرُ طويلاً في الأعياد، لا تهجرني قبل سِدْرة المُنتهى، لا تهجرني بعد سدرة المنتهى، كُنْ أنا، كُنْ نحنُ ونحنُ نعبر ظلّها الأخضر الطويل حتى منتصف أغنية قديمة حيث تتمدّدُ لتصفني عضواً عضواً، تُشبّهني بألمكَ من إهانةٍ قديمة، بطريقكَ، بالبلاد على وشكِ الحرب، صعوداً تنتهي عند حلمتيَّ، هبوطاً تنتهي عندهما لتتنهدَّ قبل أن تُثبّتَ يدكَ اليسرى بين منكبيَّ، وتمدَّ اليمنى تحت حواف السوتيان نحو الإبطين لتشمّ رائحةَ غابةٍ مطيرة، وكما في الأغنية القديمة نفسها تُحِلُّ الأزرار حتى ترى البلّور وتلمحُ فيه الآيةَ المبتورة من جُزْءِ عَمَّ :ألمْ نشرحْ لكَ صدركَ.

تحدّث

إنه عدوك

لا تتحدث عن شيء.

تحدث عن الأعراس

أنت في العائلة.

تحدث عن الحب طويلاً دون حرجٍ،

عن الحماقات والأسرار

عن الهزائم والأكاذيب،

صديقك سيفهم.

عن كل شيء تحدث دون أن تحاول أن تعني شيئاً،

أنت وحدك.

موكبٌ لا أحد فيه

نحلم ثم نشتهي، نتوهم ونحن نتكلم، نخطئ ونندم

وثم ننتظر أحدا فيأتي موكب لا أحد فيه

أجراس الكنيسة تتبع النهر من البلدة

حتى الغابة

رغم أن الأحد ما يزال بعيداً

تمطر منذ ثلاثة أيام وما من نساء

لتسبقهن الكلاب في نزهة البحيرة

أكرر:

لماذا نفسد الحب بما نحاول أن نثبته،

ومرة أخرى حين نحب

ماذا سنفعل إذا كنا على يقين أنه لن يحضر وحده

قبل أن يمضي دون أن ننتبه.

تَلِفَتْ يدي ولمْ يزلْ أثرُ يدكِ

أقتربُ حتى لا تعود عيني مني

ولا أرى منك سوى عينك التي تراني فأعرف أن لجلدك رائحتي،

ابتعدلأ صون قلبي من الحيرة ويدي من الخذلان

فأعرف وأرى كم أحببت،

أحببت لأرى

وما رأيت،

أحببت

لأعرف

وما عرفت.

عضضتُ شفتي على الأغنية التي رقصتِ عليها ذات يوم

لا أتذكّر تماماً ماذا غنيّتِ تلك الليلة،

لكنني أعرف أن صوتكِ كان جميلاً أكثر مما أحتمل،

وأنني كنت أفكر في أمر لا شيء سواه:

النجاة لا يتركُ ذكريات زرقاء.

عيني أثرُ عينكِ على وجهي

أرى فمكِ وأحبكِ حين أحبكِ،

أرى فمي ولا أعرف كيف أحبكِ حين لا أحبكِ،

بيدكِ تزيحين الشعر عن وجهي

فألمسُ وجهكِ بيدي،

تعرفين ما تُظهرين

ولا تعرفين ما أرى،

طريقان أحدهما حيث قربي شجرٌ ينحني على ماءٍ يجري في الماء قربكِ،

والآخر نفسه معكوساً يبدأ من عينكِ حيث أنا وينتهي في عيني حيث أنتِ.

طائرٌ ميت

أحب أسمي من فمكِ، وأظل أقول اسمكِ، لأصل إلى شيء لا أصله أبداً.

أقول أحبكِ، لأقول كل شيء ثم أرى أنني لم أقل أي شيء.

دون أن أقول شيئاً ودون أن أصل لشيء،

أظلّ أقول اسمكِ وأردفه بأحبكِ

حتى أمسّ ذراعكِ الطويلة حتى العدم.

ينفتحُ الكوعُ لتنغلق الشهوةُ على طائرٍ ميّت:

المياه خضراء

لشدّة ما تميل الأشجار عليها،

في أعلى الكتف ينفخُ قابيلُ على الزغب،

في رؤوس الأصابعِ يصرخُ دمُ هابيل.

لون الندم

كلما مررتُ بنهرٍ، لا أتحدّث إلا عنكِ،

أتحدث عنكِ وأعرف أن كل ما أقوله لستِ أنتِ،

لا أتحدّثُ عن الحب، فكلما أحببت لا أعود أعرفه، وكلما أحببت لا أعود أحداً، لا فكرةً، لا شيئاً، لا موجوداً ولا معدوماً، لا رجلاً ولا امرأة، لا كافراً ولا مؤمناً، لا ملاكاً ولا شيطاناً، كلما أحببت أصبح خيالَ ماءٍ يجري خلال الأرض، يجري وأجري معه في الغابة دون أن أعرف أين تنتهي الغابةُ ولا ما الغابةُ،

تنامين فأفكّرُ في رائحتكِ،

تندمين فلا أفكّرُ سوى في لونِ الندم.

آكلُ قلبكِ

وأنتِ نائمة، أفكّر بثعلبٍ يُفزِع الطيور التي تحلمين بها.

وأنت لستِ نائمة وتفكرّين،

أحلم بدم على فمي،

آكلُ قلبكِ

وثمّ أقطع الغابات صوتاً يختفي في ندم البحيرات.

سكين

كلما نظرتُ إلى الضوء على سكين، أرى دماً على الأرض.

كنت أعرف أني سأندم كالوحوش،

حينما سأشتهيكِ ذات يوم كلص،

لم تدعني الموسيقى لا مبالياً في السلم،

وفي الحرب لا بد أن أنام بين القتلةِ كيلا أدرك الطمأنينة،

لا بد من أي شيء لأفعله،

كيلا أرى دماً على الأرض كلما نظرت إلى سكين.

نجاة

كلما ألتقيتكِ آخذُ عضواً منكِ وأتركُ معكِ عضواً مني،

ذات يوم،

سأصلُ إلى البيت وأراكِ كاملةً،

وستصلين لتراني،

لن يدلّ علينا شيء،

ولن يبقى من كلينا شيء،

وحينئذٍ سنعرف أننا قد نجونا.

شجرة

لا أتخيّلُ أمّ كلثوم سوى شجرة أمام البيت،

ومحظوظ لأنني ألمحها كلما خرجتُ لأراكِ،

لأمرٍ آخر، مجهولٍ تماماً،

سأعرفُ أن الحياة تجربة

وأنني محظوظ أيضاً

ما دام الشيطان يظلّ يلعب بكراته الزجاجية

ولا يأبه بأحدٍ ما يتلصص علينا

خلف الباب،

الباب الذي لا يُفتح سوى مرّة واحدة

ودون أن نعرف متى.

لكن

أمامه كلبٌ أسود

وخلفها علبُ المالبورو وفلاتر ريزلا

يأكلُ من فمها ويبدأ ب :لَكِنْ،

تُنصت إليه عن الحرب في أولها، وتترنم:

ابقوا هنا ولا تذهبوا

لا أحد يضيع في الغابة

ثمة ريحٌ بريّة وشجرةٌ تقطع الطريق

ولا أحد يضيع

بأسنانك قبّلْ التفاحَ في فمي،

وثمَّ تكمل :ابقوا هنا ولا تعودا، ليتكلمَ

ويبدأ ب :لكن

لا أكثر من سيارة أخرى تعبر الأوتوستراد

الكازية باردة

وما من ضوء

أمامه كلبٌ أسود

خلفها علبُ المالبورو وفلاتر ريزل

البرنس

أسلك الطريق بين الغابات لأستدل بصوتك تحت وشيش الماء في آخر الممر،

:تفعلينها مرة أخرى، ولا تغلقين الباب خلفك،

:لا شيء يرى في الظلام، لا شيء،

لقد امتلأتُ بما تتركينه للآخرين،

برائحة يدك تحت الآباط،

بأنفاسك على الأعناق،

تفتحين أزرار البرنس ولا أرى سوى عظامك،

بيضاء بيضاء

بيضاء وجميلة

كما ينبغي أن تكون الذكريات.

فخاخ

نتكلم ليمرّ الوقت،

نحب ليمرّ الوقت،

نمشي ليمرّ،

وثم تأتي ساعة لا نقدر فيها سوى أن نحدّق في نقطةٍ عمياء،

وأن نتذكّر ما فعلناه، ليمرّ الوقت أيضاً،

سنتذّكر دون أن ندري أننا قد وقعنا في كل الفخاخ

التي كان ينصبها الوقت أمامنا

على مهل.

من نحن؟

كان يشرب بيضة نيئة ويجلس أمام صالة البلياردو

يدخن وبقلبٍ مكسورٍ من الحب يغني

دون أن يبالي بالدم يسقط من وشمٍ أخضر على ساعده

كان أمام صالة البليياردو

حين رآهم يمضون وهم يغنون :من نحن،

فغنى عن قلبه المكسور ومضى معهم

كانوا أطفالاً يحبون ولا يعرفون ما هو الحب

ينشدون الأناشيد ويمضون إلى الحرب

دون أن يبالي بالدم يسقط من ساعده

كان يغني :بقلبي المكسور سأحبك

كان يشرب بيضةً نيئةً في الصباح

ويجلس أمام صالة البلياردو

ثم مضى معهم حيثما مضوا

كانوا أطفالاً ينشدون :من نحن ولا يعرفون شيئاً عن الموت

كانوا أطفالاً يحبون دون أن يعرفوا ما هو الحب.

غزل البنات

تُولَدُ الموسيقى من حركة الغيوم في العين بينما

نصطدم بالرقة

بين حجر الحظ وحجر

الطمأنينة

اترك للغضب مكاناً وراء الباب

الأحدُ زاهٍ وحلو وهش كسكّر غَزَلِ البنات

يختفي وكأنه لا شيء

الخطأ يكبر بعيداً عنا

حين الأيام أسنانُ منشارٍ حتى عطلة نهاية الأسبوع

لا أعرفُ ما أريد

لكن أعرف ما أنا أفعله

إذ أفعلُ ما أريده

أسحبُ لسانكِ داخل فمي

وأتركُ الكلمةَ في فمكِ

ساقاكِ بين ساقاي

أنفي أقربُ تحت أنفكِ حتى أرى عيناً واحدة لكِ

في منتصف الجبهة

واسعةً ورطبةً

حيثُ الريحُ تهبُّ من المحيط

حيثُ تلك الموسيقى لا تُلمحُ سوى في الليل.

سنجاب

لكنّ اليدَ

لا تعني شيئاً حين تمسّ الدم

مهما تبدّل الجلدُ

لا أشدّ خفّةً من ليلٍ يسترُ فراراً جماعياً لمحكومين عليهم بالمُؤبّد،

لا أكملُ ما تقولين،

ولا تكملين ما كنتُ أنوي قوله،

الحروبُ كثيرةٌ

لكن الحقد القديم نفسه

في آخر الأمر

سيطفو الرعبُ الخفيفُ للسرّ

يختفي بين حقول العنب وعبّاد الشمس

في آخرِ الأمرِ

لن تبقى من البيت مهابةُ سريرِ الأب

ذكرياتُ الأسنان اللبنية

حتّى

ولا البيت سيبقى

سيزول السحرُ عن كلّ شيء

فأربطُ العالمَ إلى السبابة،

برزانة

نتكلم عن الحياة الجديدة، يضيءُ الموبايلُ

فأفتلُ العالم، وبالخطأ

ألعقُ السبابةَ، ما علِقَ

من مذاقِ فرجكِ في الفجر

على شرشفٍ أبيض قرب وجهي

يقفز سنجابٌ أحمر

دون أن أفتح عينيَّ

أنهضُ من غرفةٍ

لأكمل النوم في غرفةٍ أخرى

دون أن أغلقهما.

طائرٌ أعمى

إلى مكانٍ قديمٍ

أعودُ

وإلى موسيقى قديمة

وكي أرى جيداً

أسنن الزوايا الحادة في عينـيَّ

وكي لا أنزلق على أقواس الطمأنينة

أفكّرُ

إذا كان الرجال ودودين ونبلاء

وإذا كانت النساء رقيقات وحالمات إلى هذا الحد

فمن أين يأتي الشرُّ كله

الشرُّ الذي يدنو من عينـيَّ

طائراً

جميلاً

جارحاً

وأسودَ

يدنو حتى يلجهما ساحباً

وراءه

الظلام

فلا أرى

بعده

شيئاً

ولا أعود أتذكر من حياتي سوى أني أحببت مكاناً

أجلس فيه

وأنني كلما كنتُ أصبح وحيداً

كنتُ أفتح عينيَّ على اتساعهما

وأنادي

طائراً

أعمى

ليأتي

و

ينقر

ما شاء

وليأخذ مني كلَّ ما أرى.

حجرُ الزاوية

أسعى كي لا أبقى،

لا أتكلّمُ كي أهرب،

كيفما كنتُ يكونُ كتابٌ مقدّسٌ أرتّله لنفسي دون أن أؤمن به،

أينما حللتُ أرى شجرةَ الحياة بعينٍ واحدة لا تنظرُ سوى في حدقةِ شقيقتها الميتة،

أرفع قدماً عن أرضٍ قديمة دون أن تبلغَ ذراعي الأخر سماءها الجديدة،

تلك ابنةُ المعلم،

هذا اسمي،

هذا حزامها الأحمر،

تلك يدي،

ذاك صراخُ ماءها،

هذا فمي،

ذاك رنينُ الفجر في أعناق الماعز يمضي نحو الينابيع،

هذا هو رأسُ الزاوية،

الحجرُ الذي احتقرتموه أيها البنّاؤون.*

شرير يفكّر وحيداً

تحت جفن الميت نظرة

تحت لسانه لجامٌ من فكرةٍ ظلّت تلّحُ عليه

يحومُ حول البيت

لا يدخله ولا يتركه

يبتعد لكن دون أن يختفي

يقترب في الليل حين ينامُ

كل من يرى

بأرنبة الأنف

يلمسُ البردَ

الرطوبةَ

بهشاشةِ العظام

وينظر

في قطعة ظلامٍ قُدّت من الموسيقى

في راحة اليد

في مرآةٍ ليس سوى البلّور

مظلماً من شدّة

ما نظر

أحمقُ حين يحبّ

شرّيرٌ حين يفكّرُ في معنى الحياة

أليفٌ هناك

قليلُ الحيلةِ هنا

وفاتنٌ أينما كان وكلما فكّرنا فيه

قبلَ أن نؤمن بشيء

وبعدَ ما لم نعد نشمُّ سوى رائحتنا

لا القسوةُ

ستعذّبه ميتاً

بل الرِقّةُ التي كانت له

ولا رأفة.

حكّة

اليدُ عمياء وتعوي

على العين

يليها نملٌ يزحف تحت الجلد

يليه صفيرٌ

حاد من لسان أفعى

يفحُّ في جوف العظام أو

لا شيء من ذلك بتاتاً

بل أقصد الألم كما ينبغي

حين يخدّرُ الكتفَ أيضاً

حين العالمُ يختفي في رهبةِ حدقةٍ ميتة

ما من رعاعٍ في هذه البلدة لكن

الأجراس لا تكفّ ليلاً في مداخل الحدائق خلف البيوت

وكلما مرّ الوقتُ

تركَنَا في إثره

في عتمةِ ندمٍ أبيض لا نعرفه

ستطولُ الحربُ حتى يتعوّدُ العدو

الحياةَ مع العدو

لن يفكّر أحدٌ كم خسر آخر

سنصبح سعداء حين نخطئ مكان الألم

ونتوهمّه في مكانٍ آخر

الرأس مصابٌ بحكّةٍ لا تهدأ

الإهاناتُ تتحرك بين جذور الشعر بأقدامٍ لزجة

وتنزلق على المائدةِ

جافةً تحت الأظافر

الكراهيةُ التي ننكرها كلما تحدّثنا عن الحبّ

ليس نوماً سيئاً

بل شبحُ مدينةٍ قديمة

يُفسد الهواء أينما حللتُ

ليست النجوم تسحبُ خلفها الأذى

بخيطٍ من الموسيقى

لكن

هذه الذكريات.

ديكٌ رومي

كنتَ عيناً متورّمة دون أن يبدو العالمُ مشوّشاً،

كنتَ كِسراً في الهواء،

صورةَ ابنةٍ ستولدُ من اللونِ والرائحةِ،

من الصوتِ ستولد لتغني لكَ :

أبي نَم عن شمالي لتسردَ لي قصة الأخ الذي يصبح غزالاً،

نم عن يميني كي لا أسقط عن السرير،

كنتَ بَتراً، شروداً، خطأً محتملاً في تواريخ العائلة،

في حماقات الجنود،

في حركة الباصات في كراج باب جنين

حيث وجد الأرمنُ قوافلَهم تصل حلب،

حين الأكرادُ جبالَهم وقد رَكَنَت في جسر الشغور،

وأبناءُ العشائر أسماءَهم بينما تهجس بالتركية في باب الهوى،

نظرتُ إلى ساقكَ كم هي طويلةٌ في الريح،

إلى سلاميات يدك كيفَ واضحةٌ خلف أشعةX ،

إلى معصمك جميلاً، دقيقاً وساحراً،

إلى كوعكَ، منكبكَ، ملمسِ الدم تحت أنفكَ،

قرب أذنك حيثُ قلتُ:

فلنؤجل كلّ شيء إلى يومٍ سيأتي، يومِ الأنبياء التعساء، لا قبله ولا بعده، حيث لا أحد ينفع أحداً، لنتخيّل امرأةً في الغوغل تمارس الجنس أثناء بيع الآيس كريم في كشكٍ على البحر، ولنفكّر في ديكٍ روميّ يسير أمام جلالة الملكة وحوله عشرة رجال يضع كل واحد منهم على رأسه إكليلاً من أغصان العنب ويهتف بإسم لا يعرفه،

بقيتُ بجانبكَ شهوراً، أنام وأصحو دون أن أرى استدارة وجهكَ، تركتَهُ لغزاً لي، تركتُهُ لغزاً لكَ، مثلما بقيتُ أثرثرُ ناسياً أن أقول:

لا حيلة لي على نفسي،

ولا طاقة لي لتحمّلها سوى

كخطأ لا بدّ أن أحيا معه،

لا خزي

لا خلاص

ولا نكران،

الوقتُ شرّيرٌ والإنسانُ ماكرٌ،

وبينهما

سنظلُّ نحن أبناءَ الغضب،

كرةً مجنونةً

نرتدُّ من الإيمان إلى المعصية،

من المعصية

إلى الخذلان

إلى مرآة في ممر البيت

حيث ودون أن تخاف

تحدّق ليلاً في عينٍ تورّمت حتّى

لم تعد لكَ

حدّقت حتى

لم تعد ترى.

كيف عشت

كي لا أعرف

أين ترقص الأميرات في الليل

أتوّقفُ في أولِ حكايةٍ للأخوين غريم

ولا أنام

أتركُ محارباً قديماً يسافرُ في الغابة

دون أن يعرفَ السرّ

ولا إلى أين يتجه

من متجر play

أحمّلُ 9292 و)الطقس في هولندا (

محاولاً ألا أهتّم بأين وُلدتُ أو كيفَ عشت

سوى سِحر أسماءها

تخذلني الكلابُ التي لا تعضّ، كلابُ الأحد

النظيفة

الذكية

المدرّبة

رغم أنني أحببت ذلك

لكني أنحرفُ كيلا أصطدم برجلٍ

على الجسر كان يأخذُ سيلفي أمام النهر

لم أعد أنظرُ إلى قدميّ حين أقود الدرّاجة

ولم أعد أحرّك جذعي بحماقة

السيءُ

وما لا طاقة لي به

كلما وثقتُ بشيءٍ في هذا العالم

كرهتُه.

المؤخرة السوداء

على الريفِ أحقد

وَ

أستدرجُ ضوءاً

ضالاً

من التحديق نحو أبواب مدينةٍ

لم تعد هنا،

أتكلّمُ عبر البابِ المغلق

ليصلَ الصوتُ من جهة المطبخِ

دون نقصان:

العدو ما تؤمن به الآن

ولا أمل في الله

ما دام الأنبياء ينسجون أمام البشر شباكاً من الطلاسم.

–وحتى متى كان البحر لا يزال هنا؟

–كان السحرُ يأتي من الشرّ حينئذٍ

وكانت الموسيقى تنتهي في الضلال.

–ذكرّني أن نسخّن المعكرونة على الإفطار

–حسناً

–سبع دقائق لنبلغَ الباص في المحطة؟

–دقيقتان لتتحرك هذه المؤخرة السوداءُ من الكرسيّ

فينتهي الفيلمُ

وأرى جيداً:

البحيرةُ في مكانها

ما تزال

البطُّ على طرفٍ ما يزال

فيما السيارةُ التي تحمل إعلاناً ضخماً على طرف،

حين أغلق

عيني على بابٍ

مفتوح

يغيبُ البطُ حين أنام

وبينما يحدث كلّ ما سأتذكره،

أنتبه كم الهواء نقيٌّ قرب كنيسة القديس نيكولا

كم البناء صغيرٌ

وأنيق

وكم الخريفُ

نضرٌ هنا

وغريب.

في يدي تموتُ البحيرة وأنا أستردُّ ما كان لي.

تموتُ

ولا يخرج منها

المسخ

المسخُ

القديمُ

المغطّى بالطحالب

مسخُ نهايةِ الأسبوع

في القصص

مَن أسلّي به بقية أيامي مستفزعاً دون جدوى.

حبكة

أفكر في سرقة حبكة فيلم قديم عن رجل ذي بشرةٍ غامقة وبملامح غائمة يعمل في مشرحة، يحمل المريض كسحّارة أو كيس بطاطا ويضعه على الميزان، ويسجل، وحين يموت، يوزنه أيضا ويسجل، ويمرّ على المرضى في القسم الأعلى، والمحفوظين في البرادات في الأسفل، ثم يضع سماعات الأذن ونتتبعه من الخلف لنراه وهو يصفر مرتدياً جاكيت جلد، في السيارة وهو يفكر في شتاء آخر طويل، في الطريق وهو يتخيل كائناً له فم الملاك وعين الشيطان، ويظل يهز رأسه ويحسب حتى يوقن أنه ٢١ غراما تماماً، ما يخسره أحدنا حين يموت، ويكون قد وصل البيت ليركن سيارة الرينو الزرقاء في محلها في الكراج بالدقة التي يركنها كل يوم، كنت سأسرق الحبكة تماماً لولا أنني لمحتُ امرأة في الثلاثين كانت أثناء ذلك الوقت كله تفكر في الطمأنينة التي يمكن أن ننالها بتجنب الحياة، كانت قد خرجت من حبكة فيلم آخر، وجاءت لتقف حيث كان يقف، ثم رفعت خرقة قميص عليه دمٌ قديم وقالت له:

أليس لك قلب.

شيبس مع ريدبول

في الصيف يقضي أوقاته بالتجول حول البحيرة، ويلتقط بكاميرته صوراً كثيرة من زوايا كثيرة بنقطةٍ بعينها من البحيرة ويحفظها في ملف يسميه باسم قد يبدو مضحكاً، ريدبول مع الشيبس، في الشتاء وحين تتجمد البحيرة تماماً في رأس السنة، يوقف سيارته على طرف البحيرة ويخرج من الباكاج، خيمة صغيرة ينصبها في تلك النقطة، ولمبة ليد تنير دائرة كاملة، والحفّارة التي خلال عشر دقائق تفتح بعد تقدير سماكة الجليد فتحة واسعة تسمح باستخراج الأسماك عبرها، وحتى تطمئن الأسماك، يكون لديه هذا البياض الذي يتخذ كل الألوان في الليل، ولديه ريدبول مع الشيبس ليتأمل أيامه على الشاطئ بينما كان يحلم بالنقطة التي يجلس عليها الآن.

كاميرا خفية

كيلا أهذي لن أجازف بما سيحدث غداً،

سأقول:

في كل الثورات التي حدثت، لم تجذبني سوى الخيانات،

ثم سأقرأ وكأنني آكل يدي:

–داخل كل إنسان نبي وشيطان، الطمأنينة ليست هدنة بينهما، بل ادراكُ جمال الشرّ مع الاعتراف بفضيلة الخير.

–ما يفصل بين العاشق المبجل والفاسق المجنون هو دفقات المني من صنبور الشهوة، الإمتناع والإفراط يوصلان إلى النتيجة نفسها، وأن تكون عاشقاً أو مجنوناً، تلك مسألة حظ.

–الحب واضح والكراهية واضحة، ونحن نفعل ذلك لا لشيء سوى لنسكب مخزون الشفقة الدنيئة التي تتراكم فينا كسمّ لا بد من إخراجه.

–أينما كنتَ، أنتَ في طريق بمنتصف غابة، شمالك نهر، يمينك شجر كثيف، وتنتبه فجأة أن خلفك أفعى تزحف نحوك، بين الماء والحشيش والخوف ستتخبط كمجنون وتسلك ما ستسميه طريقاً إن نجوت.

–يغني فتى وراء البيت:

حبيبي يا حبيبي،

تردد الفتاة وراءه:

حبيبي يا حبيبي،

يقول:

من أول الغابة إلى آخر البلدة وأنا أفكر بقضيبي كيف أدهنه لحبيبي

وتقول:

من أول الغابة إلى آخر البلدة وأنا،

تغمض عينيها وتضحك ثم تكمل:

كيف أدهنه لحبيبي.

أقرأ وأكتفي بأن أراقب غيوماً متقطعة تلدُ مطراً رعدياً يسقط فجأة في منتصف ليلة من تموز، وبطبيعة الحال، لا أكمل شيئاً، أراقب وكأنني الشخص الوحيد على هذه الأرض الذي رأى مطراً رعدياً في منتصف ليلة من تموز وثم أترك كل شيء مبتوراً لأقول شيئاً مبتذلاً لكن أظنه عميقاً:

ما الذي يعرفه الأغنياء عن الحرب؟

كيف تبدأ، لماذا لا تنتهي، ولماذا من شدة الخسارة لا نعود نتذكر كيف كنا قبلها، وكيف كنا نتوه في روايات تجريبية عن العاطفة والأسماء وحقلٍ من أشجار الفستق، كم نحصي أشجارها من الغرب إلى الجنوب

وكم نصطاد غنج السمك البني من القدود تحت ظلالها، وحتى متى سنتحدث عن الموسيقى وكأنها ليست بشرية، وعن الفلسفة وكأنها كيلوتات خيطية غير مرئية ترتديها القحبات في الملاحم القديمة؟

اكتب لي عن الأشياء التافهة،

يكتب دوستويفسكي إلى أخيه، عن الأشياء اليومية من الحياة،

يكتب وأقرأ وراءه، لأراه وهو يقبّل الصليب بعد أن كُسِرَ السيف على رأسه، أرى فيدور الصغير في ساحة القلعة أمام فصيل الإعدام، نظيفاً بكفنٍ نظيف، ثم يأتي القيصر ويؤكد أن الأمرلم يكن سوى مزحة، يضحك ويقول :انظر هناك، الكاميرا الخفية هناك خلف الشجرة، ويضحك، الكاميرا الخفية، أهه أهه، ويضحك الجنود والضباط، وتضحك الأشباح، ونضحك نحن أيضاً حتى يرفع دوستويفسكي رأسه عن قدميه ويبتسم للاأحد، سعيداً ومهاناً من نجاة مهين وسعيد.

في السجن سيكتب لميخائيل :لحظتها لم أفكر سوى بك وحينها كانت قد بقيت له ثلوج سيبيريا والنقط السوداء، شامات الخطيئة، البشر، الغاضب والخائن والخاطئ والحالم والفاسق والعادل والملاك والشيطان والعاطفي والمتزن والمجنون والمكتئب والجذل والأخرس والمترجم، وكان عليه أن يصبر على الساعات ويحسّن الحبكات لنصبر على القصص.

انتبه،

لا تنتبه،

أكمل،

لا تكمل،

لا حبكة في الحياة.

فقط انظر تحت قدميك.

صبا

لم تقل لي خالتي سوى أن الماء جاء من الجبال ثم أحاط بالأصوات

التي كانت تخرج منا،

كنتُ أخافُ على نفسي من أنفاس الآخرين وأخاف عليهم من الغرق في

دمهم،

ظلت الأبقار تمضغ العشب سعيدة بكونها أبقاراً تمضغ عشباً أما النار

فكانت ضعيفةً تدلّ وبالكاد تترك فقاعات في تراب الأسماء،

وحين وصلنا القلعة، كان الناس مجتمعين أمام البوابة ينظرون إلى امرأة

ورجل لا نعرفهما يقبّلان بعضهما ويتعريان على مهل،

لم ينجُ أحد لكن اللاجئين كانوا يتدفقون،

وحين سيصل غرباء جدد سيختلفون مع الذين سبقوهم على الأرض التي

تركوها،

وعلى الحكاية كيف يروونها،

في الأعلى الأوراق،

في الأسفل الظلال،

وبينهما كان الهواء أخضر في شجرة الجوز وكانت خالتي بيضاء وتضحك،

شكوتُ لها أنني كلما أستيقظُ أجد طحالب على بطني وأسماكاً عالقة تحت إبطي حتى أسفل الظهر، ثم في غفلةٍ منها عقفتُ سبابتي اليمنى داخل فمي وأخرجتُ من تحت اللسان خاتماً بفصّ من العقيق الأحمر وألبسته خنصرها الأيسر فبكت وأغمضت عينيها على دمٍ من أسفل بطنها ثم ناولتني كفاً من السمسم وآخر من الزبيب وأشاحت بوجهها نحو الجزيرة البعيدة المليئة بالماعز والزيتون وقالت:

لن تحيا هنا ولن تحيا هناك،

ستبقى ميتاً حتى تحب ولن تخرج من الحب إلا ميتاً،

فلا تفرح ولا تجزع،

ولا بأس كي تدرك النقاهة في الوقت أن تتعلم اللغة،

أن تتعمق في التشخيص التفريقي لمرض النوستالجيا لتقي أو لتُشفى،

أن تستفسر عن خصائص الموت ومرادفات الحياة،

أن تشاهد ملفات اليوتيوب عن مدينة لم تعد موجودة،

أن تزور حديقة ديناصورات على خرائط غوغل،

أن تعدد أسباب النجاة من الذئاب ومحصّلات الغرق في القصص،

وأن تدخن الحشيش ليلة الأحد، لا ضير في ذلك، ومع الحشيش سيتسع الليلُ لتشاهد فيلماً تجريبياً عن خنثى يسكن منزلاً على شاطئ ما، وشى بنفسه للعدو ثم لم يبق له سوى طلب الغفران من اللاأحد، يمدّ الورق على مائدة العشاء وعلى الورق يبني شبكة من الكلمات المتقاطعة لا مربعات سوداء فيها، يظل يدندن على مقام الصبا، يفكر في اللامعنى وكيف أن سوء الفهم يغير وجه العالم،

يشتهي ويخطئ ويندم ويشتاق لنفسه بين البر والبحر :يُدبر امرأةً ويُقبل رجلاً حتى ينتهي امرأة على ذراعه اليمنى، رجلاً على ذراعها اليسرى.

سجنٌ في الدانمارك

أنتَ لا تعرفني لأني لستُ ما تعرفه عني، لقد تبدّل كلُّ شيء، وصل تيودور دوستويفسكي إلى باريس لينزوي في مزاجٍ سوداوي دون أن يلتقي بأحد، قابل فرانز كافكا فيليس باور في فندق ببرلين وخرج ليكتب المحاكمة بعد أن ظلّ يراسلها لأشهر، كل يوم ثلاثة رسائل، شُفيت الكدمة الزرقاء على وجه غابرييل وثم أنه أُصيب بالزهايمر ولم يعد يتذكر ما السيء الذي فعله بحق مرسيدس حتى يلكمه يوسا، كانت ليلةً طويلة نادى في وسطها أحدهم :كيف الطريق إلى باب الفرج، كانت سوداء وماطرة وجميلة، بقي روبيرتو بولانيو يحدّق في اسم أمه، ماريا فيكتوريا افالوس فلوريوس، على الصفحة الثانية من كتاب عشرون قصيدة حب وأغنية بائسة، طبعة ١٩٦١ دار نشر لوسادا، بيونس آيرس، ينام ويصحو وهو يحدق حتى اختلط عليه السرد والشعر لكنه ظلَّ يجر دمية نيرودا الضخمة خلف إصبعه على طاولة المطبخ، وكان رأسُ نيرودا الشبيه برأسي جيكرخوين ومحمد الماغوط يصطدم بمحارم الكلينكس والمنفضة وجهاز الريموت كونترول ومكعبات السكر، كانت الحرب طويلة حتى لم أعد أتوقف لأسأل كيف بدأت، كنتُ أحصي الخسائر وأصِفُ الطريقَ ثم لم أعد أهتم سوى بماركات الأمبيت الأبيض والأحمر، السادة والكوكتيل، وبالطريقة المثلى لتثبيت ورق اللف على

باكيت مالبورو نوع غولد30 غرام، 3.50€ مع العلم أنني لم آخذها مرة واحدة بأقل من4.5 يورو، أتذكّر، أرى، أحلم، لا أريد لأحد أن يخدعني بفكرة، كوردستان فكرة وحلب باتت فكرة أكثر شحوباً وثم لا نبالة في الأفكار، لم أعد تحت شجرة سرو في البلدة نفسها صغيراً على أن أمرّ بأبي دون أن أعرفه، أو أن أعرفه ولا أحييه، لأنني رأيته مرتبكاً حين سقط منديلٌ من يده أو لأنه سيخرج من الحكاية قبل أوانه دون أن يرى الحرب، كان أنيقاً في بدلة ميري ويتصرف بغرابة، يشاهد فيلماً قديماً بالأبيض والأسود ويشير إلى ميّتٍ بجواره ويقول :هذا أخوك لكنه نائم، ثم يستدير حتى حدود تركيا ويقول :أرضنا تمتد حتى هناك، ويستدير مرة أخرى على وشك أن يبكي شبيها بورقة الختيار الكبة في لعبة التريكس، أثبّتُ يدي من المعصم وأقذفها، ورقة الختيار، فاتحاً الإبهام والسبابة كمقص بحيث تبدو اليد كلها كمسدس ستاندر 9 مل ولتدور الورقة في الهواء وهو يبكي ويختفي مثل شبح والد هاملت بين أبراج القصر بينما هاملت يردد لنفسه :سجنٌ هي الدانمارك.

لستُ ما تعرفه أنتَ، وأنتَ أيضاً، لستَ ما أعرفه عنكَ، أنا أيضاً لا أعرفكَ.

أرى قدمي أراقَ دمي

ولِد في سهرورد ليُتلف في سجن القلعة وهو يردد:

أرى قدمي أراقَ دمي،

في السادسة والثلاثين لم يعد يستحم ولا يغسل ملابسه، لم يعد يقص شعره ولا يحلق ذقنه، يمشي في باب الفرج وكأنه يملك الأرض، ويبتهج للفكرة الحزينة البيضاء نفسها حين تحوم من الأبراج نحو البساتين، لم يكن الأخير يصر على أن الأنبياء سيظهرون ما دامت الخطيئة، ولم يكن الأول من يمدح البطء، كانت الأربعاء ولم تكن، وكان أبي يسعل، لم أدرِ قالت أمي، لا تنم حتى يموت أو لا تنم حتى لا يموت، أوسع وزرقاء كانت السماء، فغافلتني عيناي تحرسان بعضهما ونمتُ لأراكِ أمام ثانوية البنات، كنتِ تعانين من الاكتئاب الذي يسبق الدورة الشهرية، تكلمتِ عن التهاب خفيف في الرئة، قلتِ أنك تكرهين رائحة إبطك وتحسين أن سرتكِ لا لزوم لها وسكتِ عند الفيلم الذي ستشاهدينه في الأسبوع المقبل، ثم مرّ رجلٌ أصفر بشوارب صفراء وقبعة صفراء فانتبهت حينئذ أنني كنتُ أتكلم عن كل شيء يقع بين ماركات البيرة وبين الروض العاطر في نزهة الخاطر، نسيتُ أنني كبرتُ وأنني أرتب موتي بيدي حتى أنني قسوتُ فكلما نظرتُ إلى رسغي الأيسر أرى شجرة

الحياة وأبتسمُ للمبشرين في الغرفة الأخرى حتى يصدق المبشرون أنني آمنت، ولشدة ما أؤمن لا أعود أؤمن بشيء، ولشدة ما أحب تعود حلب حين لم تكن الحرب، فيقترب منكِ الذي كان يرتدي قميصاً أبيض على بنطال أسود بقرنفلة دبقة يُشْكِلها في عروة المانطو العليا ثم يستدير عند مدخل الحديقة العامة ليُسْقِط لكِ قطعة نقود معدنية في آلة الموسيقى، فتغني عزيزة جلال في الكرنكِ ويغني بكري الكردي عن الرسائل ويشمّرُ جميل هورو عن ساعديه لا ليغني بل ليمسك الأفاعي، ويوصي أن يكون قبركِ في أسفل التلة، وأوصي معه بقبري بجانب قبركِ وأن يفتح القبران على بعضهما، لأصبحَ شمساً في عظامكِ، رجفةً في دعاءكِ، وجهاً في عينكِ، ولتحيا يدي من بعدي وتزحفَ حتى تغفو بين الصدر البارد والكفن المبلل، فتضحكين وتعلقين :

كل الرجال يبدون جميلين بالأبيض والأسود،

كل الرجال يريقون البيرة وهم يلعنون أعياد المدينة،

وكلهم يوعدون وهم يشكلون القرنفل في العرى العليا،

وثم:

لا ضرر في الحشيش،

لا سُقام في الإستسلام للقدر،

ولا أذى في يا ليل يا عين حتى أرى أن الحياة التي أفسدتها ستنتهي بطلقةٍ في الظهر، بانحناءة الركبة في الندم، بالخوف من الماء، بإهانة،

ولذلك لا بأس من مراوغة الخسارة وأن نشارك الله في تدبير النهايات،

وأن نحدّق في الدم، في اللامعنى، في الفكرة البيضاء يمكن أن تصبح سراً في البحر،

سكيناً على العنق،

عرقاً على البطن،

طيراً يحوم فوق باب الفرج نحو أبراج القلعة،

ولا بأس أن تضحكي،

اضحكي وأنا أحدق في الأرض حتى أملكها،

اضحكي حتى أرى قدمي قد أراق دمي.

كان ثمة الذكريات

مصدقاً أن الصوت يأتي طافراً على الجبال قافزاً فوق التلال،

ألعب بقرنٍ من الفلفل الأحمر على المائدة،

بصوت عال أقرأ نشيد الأناشيد وأراقب الطريق نحو إيميلورد

مكرراً لنفسي :

"المحبةُ قويةٌ كالموت"

يتقافز أرنبان على الثلج وتلتف الأسماك على بعضها بجانب نجمة البحر، وأحدق لأرى طيرين أسودين لم يكونا سوى نظرتين متروكتين على شجرة قديمة، وأحدق لأرى مرآة طويلة يدنو فيها رجل ليصير امرأة تزيح عن بشرتها الطحالب كلما حلمت بشيء

وكلما تذكر شيئاً.

لا بحر على مدخل إيميلورد

لكن رائحة البحر

لا بحر على مدخل إيميلورد

لكني أرى المظلات

مظلات مظلات مظلات

شفافةً

خضراء

بنفسجية

تتهادى في مشهدٍ بطيء يمر فيه البشر بطمأنينة في الصباح قبل أن يلتمع الشرُّ في حمرة الزاوية الأنسية من عينٍ يمنى لمن ستتسل بهدوء وتتقدم بين الحشود لتنقض على عنق رجل سعيد، ويتجمد كل شيء ولكن تبقى المظلات تتهادى وتبقى الأرض تدور في الساعة السادسة والنصف وسبع دقائق لأعرف فيما بعد أنها مصاصة دماء من القرن السادس عشر، وفيما بعد حين أرى أنها لا تنزف سأعرف أنها نهضت من قبرها بجسد رمادي لا تثقبه الطلقات

ولا تخترقه السكاكين.

كان ينقصني مريضٌ في البيت لأرى أن حياتي على ما يرام.

جلبوه على نقالة مغمى عليه، وقالوا:

هذا سيسكن هنا،

وقع ولا بد من أحد يُبتلى ولن يكون سواي.

ألعن الحظ وأنحني عليه :

هل يؤلمك رأسك؟

هل أحضر شيئاً آخر تشتهيه؟

هل أعد لك الشاي بالقرفة؟

وثمّ

لا بد أن يمر الوقت ولا بد أن أدس كتفي تحت إبطه لأحمله إلى التواليت، تصلني أصوات بطنه وأخفف عن نفسي بأننا كلنا نصدر الأصوات حين ندخل التواليت، أعدل مكان الوسادة كيلا تؤلمه رقبته وهو يشاهد فيلماً وثائقياً أو فيديو كليب أو رقصاً على الجليد، أبكي معه حين يبكي، أضحك حين يروي نكتة خافتة، أصغي له الذكريات من الرغبات، وله أجدل الهواجس في الكوابيس،

وأصدق كل ما يقول :

كانت الحرب قد مضت ولكن كان ثمة الذكريات، إيميلورد كانت تحت المياه قبل سبعين عاماً، بل كان البحر ولم تكن إيميلورد، مزارع الخنازير كانت تحت المياه وكانت تحت المياه حقول التوليب التي تتفتح في

الشهر الرابع حين تمسد النساء الحوامل بطونهن، لكننا نحن البشر ننسى وكلنا خونة إذ ننسى، ننسى النهر في خرائط الـGBS ، رائحة الورق في الكتب الإلكترونية، الجسد في الرسائل، الحب العاطفي بين مفرزات الجسد، الشك في الإيمان، زليخة حين همّت بيوسف، يوسف حين همّ بها، ابراهيم حين غار على آسيا من شطط يهوه، محمد حين مصّ لسان عائشة وهو صائم، ويعقوب، يعقوب حين أمسك بياقة الرب بعد أن غلبه في العراك وأستحلفه ألا يتركه حتى يمنحه البركة...،

ويتوقف لحظة

يتنهد

حين يدخل الرجال الثلاثة الذين اندفعوا إلى الداخل قادمين من صالة البلياردو دون أن يغلقوا الباب خلفهم، ينظر إليهم بحنق ويكمل :كل حب خيانة، وكل خيانة حب، كل ملحد مؤمن، وكل مؤمن ملحد، ولن أفعل شيئاً، لن آكل حتى تنتهي الحرب ولن أشرب حتى أرى حلب كما في الأغاني، تشرق عليها الشمس حين يغني صبري مدلل كما لو أنها تشرق أول مرة على هذه الأرض،

ويكر ويهذي حتى أقوم لأضع خرقة مبللة بماء بارد على جبهته، وأبتسم وأنا ألمح ظلاً يعبر وجهه،

أتركه ينام وأعزي نفسي فيه،

ما أزال بخير إذن،

اقتنيتُ دراجة مستعملة وأفكر أن أثقب أذني بحلقين من الفضة وأن أطلب من جارة صومالية أن تجدل لي شعري في جدائل رفيعة،

لدي زوجان من الأحذية الجلدية

لدي خزانةٌ معدنية

لدي بطاقة صحية وبطاقة monycard يدخل فيها 57 يورو كل أسبوع،

كل شيء على ما يرام

وما أزال أستطيع أن أرتب الشرشفين حين أستيقظ ،

ما أزال أفرد على مائدة الفطور كما أشتهي وأظل أمضغ حبات الزيتون ببطء وأنا اكتسب عادات أخرى،

ما أزال أستطيع أن أحكي لابني عن الدراجات في هولندا ولابنتي عن البط الذي ترعاه الملكة،

ما أزال بخير

وأنا أقرأ نشيد الأناشيد في هذا الفجر

وكل شيء على ما يرام

ما دامت المظلات تتهادى في الأزرق الذي كان هنا

مظلات مظلات مظلات

تتهادى على طريق إيميلورد

حين لا موسيقى

حين لا أحد

حين لا شيء

لا شيء

سوى رائحة بحر كان هنا.

هل أنت سعيد؟

الضوء معجزةٌ لمن يحيا في الظلام.

الربُّ ينبثق من بين الغيوم.

ويتبعه غير الأسوياء،

المرضى وأصحاب العاهات والفقراء والمنبوذون.

العبث أن يقول أحدهم أن الرب يتبول اليقين.

في الحروب يختفي الرب ولا يعود إلا مع المبشرين.

بينما يعاني اللاجئ من الندم والشوق والألم والذكريات والصداع والأكزيما التي تصيب الأطراف والملتحمة والركب والمناطق الحميمة، تقرع المبشرة باب البيت المزدحم بالظلال لتبتسم وتسأل :

هل أنت سعيد؟

وترتبك، تستطيع أن تجاوب على:

١ –هل تنام جيداً؟

٢ _متى مارست الجنس آخر مرة؟

٣ _ هل تعجبك وجبات الطعام؟

٤ _ هل شفرات الحلاقة الزرقاء التي توزع عليكم جيدة؟

المبشرة تبتسم لأنها سعيدة، وقد خصصت ساعتين خلالها ستتكلم

لتخبرك كيف تجد السعادة،

:أن تؤمن،

ولا شيء آخر،

فالرب أتى لتكون لك حياة، وإن آمنتَ لن تهلك، وستكون الحياة الأبدية في آخر الممر.

ولكن الممر أعرفه، ولا شيء في آخره سوى التواليت، والتواليت نظيف لكنه لا يعمل جيداً، ويبقى ملائماً لتهرش الجلد حتى ينبثق الرب،

الرب ينبثق من الحكّ،

من تحت الجلد،

من نسيان اليوم الذي أنت فيه،

من البيت الذي لم يعد بيتاً، من السماء التي لم تعد سماء،

من عدم الإيمان، من أنني عشت حتى الآن من دونكَ وأستطيع أن أكمل حياتي من دونك، من أنني لم أخطئ تجاهك حتى أركع لك وأقول لقد أخطأت،

من تفصيل الذل والممكن، من تفضيل السيء على الأسوأ،

من الذكريات، من أنا بعشقك وأنت عمري، من ملفات الساوندكلود، من قنوات السيكس، من لف الحشيش، من الأزرار، من الاختلاج، من تسارع الأنفاس، من التقاط الشفتين في الفم، من مص اللسان، من النزول والصعود، من الاصبع والابهام الرطب، من الدعك والقبض والاستنشاق والتمرير والتحرير و الإيلاج والرهز والعضعضة والتفريش واللعق والتقريط، من جهة البطن، من الخارج، من الداخل، من السريعة، من البطيئة، من التي يُغمى عليها، من التي يُغشى عليها، وثم لا تفيق إلا فاترة الأعضاء وحينئذ تستطيع هي أن تبتسم وأن تسأل بينما تمد نشرة التبشير على المائدة:

هل أنت سعيد؟

لونُ الأربعاء

في سنة ١٤٠٠ م بنى تيمورلنك برجاً من ٢٠ ألف جمجمة خارج المدينة، ثم خرج المغول وعاد الأهالي إلى بيوتهم داخل الأسوار إلا المسيحيين فلم يتمكنوا من العودة الى حيهم القديم فبنوا مساكنهم في الجديدة في الضواحي الشمالية خارج أسوار حلب في المكان الذي سيشغل مركزه بعد ستة قرون بديهيات النوستالجيا:

التذكارات من عقود الفضة والذهب الأبيض والعقيق والخرز،

المقعد الإسوارة حول شجرة التوت،

الفول بالحمص، بالطحينة مع الزيت، مع البصل،

وتكتكات ماكينة الإكسبريسو الإيطالية.

رغم أنني مقتنع أن الأسباب العاطفية ليست كافية لإدانة الحرب، أية حرب كانت، فلدي عشرة أسباب عاطفية لأعود إلى المكان الذي لم يعد موجوداً، كان أبي يغفو على فخذ أمي وهو يشرب، وحين كانت تقوم لتتوضأ، كان يقول لها :الثلج بطريقك، فكانت تجلب مكعبات الثلج وهي توبخه :حرام، نحن في ليلة القدر، فكان ينظر إليها بحب،) كيف ينظر البشر بحب؟ (ويقول لها :إدعيلي حبيبي، إدعيلي.

بالأمس رأيتُ، كانت تدعو له بالهداية، وكان الرجل الذي سيكون أبي في أوله، وأنا في لحظة أخرى، كان يقول لمن هي أمي، ومن سأشتهيها في لحظة أخرى، كان يقول:

ستأتي حرب وسيتقاتل الذي من ظهري مع الذي من بطنك.

كانت ساحة الحطب في الفجر حيث رائحة الخبز وقلة من البشر وكثير من الأشباح وكان يفكر في مؤخرتها النظيفة المؤمنة الخاشعة ترتفع وتنخفض في السجدات ثم لم يداري نفسه، أنتصب معه وهو يغمض عينيه من لذعة اليانسون في العرق، كنتُ أبي وأغمضتُ معه عيني لأنتقل إلى سبب آخر من الأسباب العاطفية التي لا تنهي الحروب، تبقى صادقة، أجل صادقة لكنها ليست كافية.

فتحتهما معا، كانتا لي، اليمنى لأراقب من أحب، اليسرى لأراقبه، إنه يتنفس، يتنفس، إنه حي، نبضه لا أعرف، قلبه لا أعرف، اليمنى تغرق في ماء الأغاني، اليسرى في رمل المراثي، هل من شيء آخر، كنت أعانق ميتاً في المنام، وبقيت أتأمل الساعات حتى عرفت أن الحكمة هو لون الأربعاء الذي طالما كنت لا أعرفه، الحكمة غير المجمدة في الفريزر، الحكمة موجودة في مكان ما، لابد أن تكبر وتكبر حتى تنالها في ضلالٍ ما، وفي اللحظة التي تقتلع عشبتها بيدك، تلدغك أفعى الحارسة في رقبتك لتقع على الأرض وأنت قابض على رائحتها.

عيناي الآن غرابان على الثلج،

كلما حلمت فقدتهما،

وتنعقان كالسكاكين كلما تذكرت شيئاً.

عيناي أعداء

وأنا الأن أعمى.

كيف ينتهي اسمُ حبيبي

في مكانها تبقى شجرة السرو حين نتمشى، دون دراجات، على أوتوستراد ماركينيز– ستينقايك، ويظل العجوز يحك ذراعه حتى محطة الوقود ويكرر :

الطون،

كبد الدجاج،

الزبدة،

الكزبرة،

الكمون،

الشاي الفرط،

ويتكلم حتى تختلط الروائح بالذكريات، كيف أنه ظل واقفاً في الكرنك من الشام حتى حلب حين لا حرب، وكيف نام وأستيقظ وصباح فخري يتأرجح بين يا ليل ويا عين، ولا يتوقف حتى يقاطعه الحالم وهو يكزُّ على لفظ الإيمان، يخرجها كجثةٍ من بين أسنانه، مؤكداً أن جُلّ ما يفعله الإنسانُ أن يكون الله، وأن الله خُلِق ليمحو خطايانا، وحين نصل سأشكُّ بأنه قال:

كل شيء زئبق،

وسأجد أننا لا نصل كما نذهب، لا إصبعٌ زائدٌ، نعم، ولا قَرن ناقصٌ في الرأس، لكن الغرابة تطغى على المنزل الذي بطابقين، لا غرابة في النموذج السويسري ولا في التدفئة الأرضية والنوافذ الكبيرة، بل في طواحين المزاج المتقلب بين الجوع والكآبة والبَرَد وعبّاد الشمس، على العشاء سيجلسُ المريضُ والحالمُ والفتى في شجارٍ سيتنحّى عنه الأخيرُ بما سيقولُ:

حبيبي حبيبي

خصرُ حبيبي من الهواء،

على ذراعي خصرُ حبيبي

سمكٌ في الشفة السفلى،

بطٌ في العليا،

ساقا حبيبي نهران يلتقيان في فمي

اسمُ حبيبي طريقٌ في الغابة،

أعرفُ أين يبدأ

ولا أعرف كيف ينتهي اسمُ حبيبي.

وتهبُّ الموسيقى ويظلّ يقول حبيبي حتى أنتبه أن توأماً آخر قد حلّ في البيت ليلاً حين كانت الموسيقى تهب، ذكران بقرطين من الفضة وجسدين شهوانيين، وأننا معاً على المائدة نضحك، نمضغُ العطون مع البيرة، نعصر الليمون على السمك المقلي، بينهما أميلُ على الجنبين، عيني اليمنى أحبّت من كان القرطُ في أذنه اليسرى، عيني اليسرى أحبت من كان القرط في أذنه اليمنى، كانا شاحبين من الشعور بالذنب ومنهكين من طريق أمستردام، دخلا الحمام معاً، وأحدثا جلبة أصوات تحت الماء، كنت أقلّب قنوات التلفاز بين الحرب والسيكس والأغاني والرقص على الجليد لأبدو غير مهتم بشيء، وحين سأكون في مكان آخر فيما بعد، سأعرف أنهما قد بدّلا الأقراط بين الأذنين وأن عيناي كانتا تخونان بعضهما البعض طوال الوقت، وأنه لم يكن قد بقي لي سوى أن أستسلم للنسيان حتى لا أعود أتذكر سوى أبي وكم أحببته، في بيتنا، وحيدين، قبلته في فمه، كان الشتاء وضوءٌ قليل يأتي من طرف الممر، أمسكت وجهه بين يدي، بقي نظري معلقاً على ظهر يدي، خفتُ، كان متورماً بعينين منتفختين وجلدٍ بارد، ولم يكن أبي، أبي مات حين قال أجلبوا لي ماء، حين مال على أمي وقال، لم أعد أرى سوى الظلام، وفي الظلام سأبقى حتى يخف الأزرق في المرآة الطويلة وأرى

أن كل شيء ما يزال في مكانه، دولابُ الدراجة الأمامي عالياً في الفيتس باركينغ، المقودُ مائلاً نحو شجرة السرو، كل شيء ما يزال في مكانه وفي مكانها شجرة السرو تهتز في كل الأنحاء، تهتز كما لو أن شيئاً لا يحدث منذ الأزل.

هل لديك فايبر؟

أجرّبُ حياةً سهلة، رخوة ونظيفة لكنها ليست بيضاء،

أفكر في الثعالب والدجاج والكلاب التي تنبح وتركض دون فائدة،

أفكر في الحارس الذي لا يُرى،

أقول:

الغفرانُ سببُ السماء،

وبعيني يهودي

أحيا في كمب اللجوء الذي كان معسكراً نازياً فيما سبق،

وأرى أنه كلما قل الغفرانُ اتسعت السماء،

يعجبني أن أتعلم اللغة من الأمثال، وأن أقول بالهولندية ما يعني أن الرابحون هم في الحقيقة خاسرون لا يستسلمون،

تعجبني فكرة الحدود هنا، وأن الجنس لا يستدعي سوى البيرة وأن توقفك فتاة في الكريسماس لتقول لك :

هل لديك فايبر؟

بت قديماً وفاسداً وأسبب لنفسي ليس قليلاً من الألم بدون سبب،

البيت دافئ تماماً

والشاي لذيذ لكني لا أستطيع أن أصدق فرانك سيناترا،

فهناك شيء ليس على ما يرام.

بابا ماذا تفعل؟

تؤلمُ آيندهوڤن حينما نصل،

ليس هنا سوى السهول، ونمزح حين نرى جسراً صغيراً فوق قناة مائية، ونقول :سنصعد الجبل، ونصعد وأجلس على المصطبة أمام البار حيث في نهاية الشارع المستقيم أضواء بنفسجية وأشجار مشذبة بعناية ورجلٌ من البلاستيك المنفوخ يميل في الهواء وينحني حتى يمس الأسفلت ثم يقوم، وأراهم يشغلون ال GBS ويسرعون نحو ميديا ماركت ومحلات السيكوند حين تذكروا أنهم في السبت وأنهم جاؤوا لأجل البافرا وجاكيتات الجلد وسماعات فيليبس، لا لأجل شيء آخر، أحتمل الأرق وما تتركه البيرة وأتجه حيث أشارت سبابةُ الهولندي، بسبعة يورو كنت قد قطعت بطاقتي الذهاب والإياب، وكانت هناك شاشة كمبيوتر تظهر المحطات والركاب أحياناً، وأحياناً الطريق الذي إن أخطأته سترى أنك وصلت بلجيكا، كنت أراهم فيها وأرى نفسي، أفطر على العنبرية وأتسحر على الفستق وثم أنتبه أني لم أكن صائماً، أذهب لأدفع فواتير المياه ثم أقع بطلقة قناص، أُساق إلى حربٍ يظن الذي بجانبي أنها سفر برلك، أتوضأ في السجن لأُعدمَ في باب الفرج، أرى رجالاً يرتدون بدلات أنيقة بربطات عنق على شكل الفراشة، يتناولون الكبة النيئة عند حنا كعدة، ويتكلمون جذلين عن الهويات المتعددة والهويات القاتلة، وثم أضحك حين أراهم

بعدها بلحظتين في شارع بارون ينيكون الصبيان في السينما، لم أكن قد مت بعد، ولم أكن قاتلاً لأعودَ وأرى هل مات من كنت أنهمكُ في جزّ رأسه حينما ظهرت ابنتي فجأة وقالت :بابا ماذا تفعل؟

ساخراً عنيداً فاسقاً، نسيتُ أن دمي لا يبرأ من القدر الخائن ولا ظلّي من الهجران، لا أحتملُ الكوابيس، وأحتمل الأرق كيلا أخطئ الطريق إلى آيندهوڤن،

ليس لي سوى يدي لأخفي وجهي في الأعياد،

وليس لي سوى فمي لأوشّح على اسمك:

لا

لا تفتحي أزرار قميصكِ،

لا ولا تتركي على نهدك كفي،

لا لا

لا تصدقي أديب الدايخ،

لا تضحكي ولسانكِ في فمي.

خيوط زرقاء

لا تقل لي ماذا فعلت أو ستفعل، احتملني كحياة، نِكني كفاسق واهجرني لأبقى أتألم من الحب، اكذب كصادق وصِلني كما في الأغاني، أنهك جسدي لينام، أشتم اسمي كي لا يغفو، أنكر دمي وخني لأعرفك، تكلم في الظلام لأراكَ، انزف في المنام لأعرف أنك لم تمت، حنّ علي كغريب ولا تدعني أحنّ لغريب، لاتكن طيباً وتتذكرني حين تخاف، لا تختبأ كنهاية، أنا هنا وفمي في مدينةٍ أخرى يغني لعيدٍ في مدينةٍ أخرى، أنا هنا وعيناي في الجبال تلاحقان نمراً يلاحق ظبياً سيقع بطلقة غفران، كن شجرةً فاسدة يلتقي تحتها رجلٌ في حلمِ امرأة مع امرأةٍ أخرى في حلم رجلٍ آخر، كن حرباً حيث مشيتَ تنتش بذورُ الخطيئة، حيث نمتَ تفقسُ بيوضُ الشر، كن ضيفاً، واسألني:

هل دقة الكاميرا ٨ بيكسيل حقيقية وهل تكفيك شحن بطارية السامسونغ ليومين؟

هل جيرانك جيدون؟

هل ماستريخت بعيدة من هنا؟

تعال لأعرفك على من يسكن هنا،

زوجان غير كلاسيكيين، متقاربان في العمر والملامح، لديهما سرير أطفال بطابقين، العلوي يخصّ من كان يسوق دراجته في الطريق والسفلي لابنهما المتوحد الذي يتمدد عليه، صديقان في هدنةٍ طويلة الأمد، تتكلم بعينين أشد حقداً عن تنزيلات الشتاء في ٢٠١١، ويتكلم بفم ممصوص عن جردة حساب سريعة للحرب، ويشربان الشاي ليمضي النهار سالماً قبل أن ينتبها أن الملاك يلعب بما بين فخذيه، فيلعبان هما لعبتهما المفضلة، ضبطَ النفس، هو يغسل له يده، نونو :لا، هي تجلب له من الخزانة كبكوبة خيوط زرقاء، قبل أن تناوله تنظر إلينا لتقول :هذه رابع واحدة خلال هذا الأسبوع وسترون، وتقع الكبكوبة في يده، ويركض وتقع من يده، ويركض ويخرج الخيط من الخيط، ويدخل الخيط في الخيط، أرجوك، لا تقف هكذا، انفخ على وجهي، تمتم :العدمُ هو الموجود الوحيد، لا لتقول شيئاً، بل لتضبط الموسيقى التي تفلتُ من فمي، ارحمني بما تبقى لديك من الرقة، ولا تقل لي.

لا أعرف

أستكثرُ على نفسي أن يمضي النهار كما في الأغاني، لا أعرف، و)لا أعرف (تكبر كبيضةٍ عملاقة ستلد سماء، لا أعرف وأخاف، أخاف أن أرى أين مشيت، أخاف الدمَ على الثلج وأخاف عليكِ، من الطريق، من الخيانة في أوله، من الشتاء، من النسيان في آخره، أخاف ألا أرى، أخاف أن يحلّ هواء في الزغب بين بطني وبطنكِ فلا أعود مكترثاً بأمراضك، وأن تتوه يدكِ في شعر رجل آخر خلف رأسي ويدي على لحم امرأة أخرى خلف ظهرك، أخاف أن أغيظكِ إن قلت أنني قضيتُ الأمس أثرثر عن الهواتف الذكية، وأني تابعت فيلماً مسلياً لا حبكة فيه سوى أن كلباً يفلت الرسن ويتبول في البحر.

أدقُّ قبضتي بقبضةِ ريدل، جارٍ من الكاميرون، ثم أثني الذراع نحو القلب لنقصد أننا أخوة، أغلق باب الحمام خجلاً على تركي يجلب البافرا من بلجيكا ويدخنها مع أوكرانية هناك، من الصعب أن أبدو طبيعياً حين أرى خنازير تتمرغ في الطين، من الصعب أن أقتنع أن الغراب ليس علامة شؤم وهو يتنقل بين الحقول والطواحين، وليس من السهل أيضاً أن أحكي بالهولندية متى يتدفق الماء وأنا أترجم :لمّا مسّ صدري صدرها، وكيف يتعلق الحاء بالعين في فم صبيان ما يزالون في مدرسة البنين يتبادلون حزورة عن :بلح تعلق تحت قلعة حلب،

ليس اصطفاق أوراق البلوط،

ليست دراجات تأتي من الخلف،

ليست مزحة،

ليس رعب الأطفال في متاهة بمدينة الملاهي،

أسمع أصواتاً أخرى،

سأموتُ وأنا أتحسر على ما كان ينبغي أن أفعله ولم، أنظرُ إلى حصانٍ يسرح برأسه شاداً ظهره وأجزم أن الجمال هو الحيوان حين يكون سعيداً بشكل لا يحتمل، حين يجتر ويضرط وينيك ويحمحم،

لو لم يكن من حاجةٍ إلى أسهم تدل على الكنائس حين لا موت هنا، لو كانت الحياة مرتبة كمغامرة محسوبة تخرج منها وأنت تضحك، مؤمناً بنفسي أعبر المجاز تحت غفران السماء، أتتبع صف الطيور في فجر المعصية، أخاف وأعرف أني كمداً سأموت في الريف، كمداً وأنا أخرج من الماركت حاملاً فلاتر ريزلا الأورانج مع طردٍ من البيبسي، كمداً حين يُمحى طريقُ المدينة من عيني وأنا أترجمُ للا أحد :لما مسّ صدري صدرها.



محمد رشو، شاعر كردي سوري مقيم في هولندا، من مواليد حلب ١٩٧٣.

له: أنتظر الهواء لأمر بكِ (شِعر)، عين رطبة (شِعر)، جمال بارد (شِعر)، ملاك يبتسم بخبث (شِعر)، الجوكر (قصص قصيرة)، تحت جفن الميت نظرة (شِعر).

تصميم الغلاف: عماد الدين موسى



